مأمون غريب

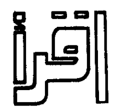
حديث الروح
مع
الشيخ الشعراوى

دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشاء هـذه السلسلة ونشرهـا ، لم يفكـروا إلا فى شىء واحد ، هـو نشر الثقافـة من حيث هى ثقـافة ، لا يـريـدون إلا أن يقـرأ أبنـاء الشعـوب العـربيـة . وأن ينتفعـوا ، وأن تـدعـوهم هـذه القـراءة إلى الاستـزادة من الثقـافـة ، والـطمـوح إلى حيـاة عقليـة أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.



[٥٦١]

حديث الروح
مع
الشيخ الشعراوى

مقدمة

جاء النبى ﷺ برسالته الخالدة، وإذا بهذا الدين الجديد يغير الحياة فى شبه الجزيرة العربية كلها، ويجعل الناس يتجهون إلى عبادة الله الواحد الأحد، بعد أن كانوا يعبدون حجارة صماء بكماء لا تنفع ولا تضر.

وكان محمد ﷺ قد بعث برسائل إلى الملوك والحكام يدعوهم إلى الإسلام، وكان هذا يعنى أن الإسلام جاء كرسالة عالمية لكل الأجناس فى مختلف بقاع الدنيا.

وانتقل الرسول الكريم إلى جوار ربه بعد أن وطد دعائم الإسلام فى شبه الجزيرة العربية، وبعد أن ترك صحابته على وعى بأمور دينهم، ليكونوا امتدادًا لصاحب الرسالة فى الحفاظ على الإسلام.

وعندما تولى الصديق الخلافة، وشاهد اندلاع الفتن، رأى البعض ارتد عن الإسلام.

ورأى البعض الآخر رفض إخراج الزكاة، وسمع عن مدعى النبوة،

وقرر أبو بكر الصديق أن يقضى على الفتنة بكل فروعها، ويحارب فى كل الجبهات، بل بلغ من قوة إيمانه ويقينه بأن الله لابد أن ينصر دينه، أن يرسل جيوش الرسول ﷺ، الذى كان قد أعدها لمحاربة الروم..!

وبقوة إيمان الصديق، وإرادة المسلمين، انتصر الصديق فى كل المعارك، وكل الجبهات، وبدأت طلائع جيوش الإسلام تجابه الروم فى الشام، والفرس فى العراق.

ولحق الصديق بالرفيق الأعلى بعد أن بدأت الفتوحات الإسلامية تشق طريقها لتواجه أعتى قوى عصرهم الفرس والروم.. ويتولى الخلافة الفاروق عمر بن الخطاب، وإذا بالجيوش الإسلامية فى عهده تحرز انتصارات هائلة لم تكن تخطر على بال أحد، فإذا بجيوش المسلمين تكتسح العراق، وتقضى على الفرس، ويستولى المسلمون على المدائن عاصمة كسرى، وإذا بالشام وفلسطين، تدخل فى دائرة الإسلام، ثم يواصل الزحف الإسلامى الكاسح مصر، وتتطلع إلى غزو الشمال الإفريقى كله.

ويستشهد عمر بن الخطاب بعد أن ترك دولة إسلامية بالغة القوة، بالغة السطوة، منظمة عسكريًّا وإداريًّا وسياسيًّا. وأصبحت دولة الإسلام، ودستورها القرآن والسنة أقوى دولة فى عصرها وأخذت الحضارة الإسلامية، تحتك بحضارات الدول الأخرى.

ويأتى عثمان بن عفان. ويرى فيه الناس خليفة كان قريبًا إلى قلب رسول الله ﷺ، وليس فيه شدة عمر بن الخطاب ويواصل الإسلام فى

عهده زحفه الكاسح، ويتكون أول أسطول إسلامى على يد عبدالله بن أبى السرح واليه فى مصر، وأخيه فى الرضاعة، ومعاوية بن أبى سفيان والى الشام، وقد حقق هذا الأسطول نصرًا حاسمًا على الأسطول الرومانى فى معركة ذات الصوارى!

غير أنه فى أخريات حياة عثمان تشب بوادر الفتنة الكبرى، ثم سرعان ما تشتعل هذه الفتنة، عندما تأتى وفود من مختلف أقطار العالم الإسلامى تشكو لعثمان رضى الله عنه ولاته، وتتهمه بأنه يوالى أقاربه.. ثم تندلع الفتنة عاتية، وعندما يطالبونه بأن يعزل نفسه عن الخلافة، ويرفض عثمان، ويستشهد على يد الثوار وقتل عثمان مظلومًا.

ويأتى على بن أبى طالب إلى الخلافة، والفتنة على أشدها ومعاوية بن أبى سفيان حاكم الشام القوى يرفض مبايعته بحجة الثأر لدم عثمان رضى الله عنه، وتندلع الفتنة عاتية هوجاء، وتندلع الحرب الأهلية فى الإسلام بين على ومعاوية، وتتوقف الفتوحات إلى حين. حتى استشهد على بن أبى طالب كرم الله وجهه، على يد عبد الرحمن بن ملجم أحد الخوارج، وتئول الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان وتتحول الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض! وباستيلاء بنى أمية على السلطة عادت الفتوحات الإسلامية من جديد فى الشمال الأفريقى، وفى آسيا، ومع هذه الفتوحات الإسلامية، ومع الاحتكاك بحضارات الأمم الأخرى، كان لابد أن تتوقف العقول لتدرس، وتقارن بين ما جاء به الإسلام، وبين الحضارات الأخرى، وكان لابد من مناقشة الفلسفات والأفكار التى تعج بها حضارات الشعوب الأخرى فى مصر والشام والعراق، وبدأ تدوين السنة فى عهد عمر بن عبد العزيز، كما دون القرآن الكريم فى عهد

الصديق، وجمعه فى عهد عثمان رضى الله عنه، وبدأت هناك أمور تستجد على الساحة، وكان لابد من الاجتهاد فى أمور الفقه كما بدأت بذور ظهور المدارس الكلامية.

وظهرت فيما بعد المذاهب الأربعة، كما ظهـر علم الكلام ومـدارسه المختلفة، وأيضًا ظهر التصوف السنى متأثرًا بكتاب الله وسنة رسوله ويعد تطورًا للزهد، كما ظهر التصوف الفلسفى المتأثر بروافد فكر وفلسفات أجنبية. ومن هنا بدأ الاجتهاد، وليس هناك اجتهاد مـع النص، ولكن الاجتهاد فيما يستجد من أمور الحياة، وهذا هـو سر مـرونة الإسـلام وصلاحه لكل العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والاجتهاد ليس مباحًا إلا لمن يملك أدواته، والذى يملك أدواته هو الدارس لكتاب الله وسنة رسوله، والمتعمق فى أصول الدين والملم بلغة القرآن الكريم، كما أن للاجتهاد وسائله الممثلة فى الإجماع والقياس بعد كتاب الله وسنة رسوله، وظهر كبار المجتهدين، ثم خفت الاجتهاد، وكاد أن يخفت صوته لعدة قرون !..

وبفضل الأزهر الشريف، وبعض المفكرين الذين درسوا فى أوربـا والأزهر الشريف، ومع المتغيرات التى حدثت فى ظل الحضارة المعاصرة، بدأ الاجتهاد، وظهر المجتهدون فى الفكر الإسلامى، ومن أبرز المجتهدين فى هذا العصر الشيخ محمد متولى الشعراوى. شيخ دعاة هذا العصر.

وفى حوارنا مع هذا الشيخ الجليل، تتضح رؤياه للعديد من القضايا التى تهم كل مسلم ومسلمة.

مأمون غريب

الإنسان .. ومنهج الله

«إذا أطاع الإنسان منهج الله فى حركته فى الفعل والترك، وعاش فى قالب التكليف الربانى، فسيكون مثل الأشياء المسخرة فى الكون.

كالشمس عندما تشرق وتغرب، وكالقمر عندما ينتقل فى منازله، وعندئذ سوف تنتظم حياته ويريح ويستريح».

الإمام الشعراوى

منهج الله

لا شك أن الحديث عنه، ومع الشيخ محمد متولى الشعراوى، حديث ممتع وجذاب، ممتع لأن فيه قوة التعبير وعمق الفكرة، وجذاب لأن الشيخ الشعراوى وهو يحدثك حتى عن دلالات الألفاظ فى اللغة، يجذبك إلى حديثه، رغم جفاف هذه الكلمات التى تتطلب من السامع يقظة، كما أن تناوله لأمور الفكر الإسلامى، واجتهاداته فى خواطره الإيمانية، كثيرًا ما يأتى بتفسيرات جديدة، تختلف بشكل ما عما قام به من سبقوه فى تفسير القرآن الكريم، وذلك راجع إلى كثرة قراءاته، فى مختلف فروع المعرفة، وتعمقه فى اللغة العربية، وهى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم، فجاء باجتهادات جديدة يتقبلها القلب والعقل. وقد التقيت بشيخ الدعاة كثيرًا، وطرحت عليه العديد من الأسئلة فى عديد من اللقاءات، وكان يشدنى فيه أنه ما من سؤال سألته له إلا أجاب عليه بموضوعية وعمق، وسهولة ويسر، وكأنه قد أعد لهذه الأسئلة الإجابة عليها سلفًا، فكان

يبهرنى بهذه الخلفية الثقافية التى يتمتع بها، وما يمكن أن تكون له هذه الثقافة إلا لأنه جعل لحياته هدفًا، وهذا الهدف هو خدمة دين الله، والإعداد للدعوة له على أسس من الاطلاع الواسع، ليس فقط فى علوم الدين، ولكن أيضًا فى مختلف العلوم الوصفية، واطلاعه حتى على الانجازات العلمية فى مجال العلوم التجريبية، وهذه العلوم استخدمها كرافد يمكن من خلالها أن يكون داعية على مستوى العصر، فالداعية المستنير لابد أن يكون على بصيرة بإيقاع العصر، وما فيه من إنجازات علمية، وتيارات فكرية، ومذاهب فلسفية، ووجهات نظر سياسية واقتصادية واجتماعية حتى تكون دعوته من خلال رؤية واعية مستنيرة. وتاريخ الإسلام ملىء بالشخصيات الثرية فى فكرها وعمق رؤياها واستيعابها لما فى الكتاب والسنة.

ومن هذا ما أورد الدكتور عبد الحليم محمود وهو يحدثنا عن (السنة فى مكانتها وفى تاريخها)، إنه فى هذا الكتاب يحدثنا عن السنة الشريفة، وهى مكملة ومفسرة لكتاب الله الكريم، ويقف بنا عما عاناه المدونون للسنة، ويقف بنا عند موقف من المواقف التى تعرض لها الإمام البخارى، فيقول لنا الدكتور عبد الحليم محمود ناقلاً، ما يرويه أبو أحمد بن عدى الحافظ، عن الإمام محمد بن إسماعيل البخارى صاحب الجامع الصحيح، قال:

سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون:

إن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه.

فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا

الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشر أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى، وأخذوا عليه الموعد للمجلس فحضروا، وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين.

فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخارى:

«لا أعرفه».

فمازال يلقى عليه واحدًا بعد واحد، حتى فرغ والبخارى يقول:

«لا أعرفه».

وكان العلماء ممن حضروا المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون:

«فهم الرجل».

ومن كان لا يدرى القصة، يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الحفظ.

فقال:

«لا أعرفه».

ثم انتدب رجل من العشرة أيضًا فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة.

فسأله عن آخر فقال:

«لا أعرفه».

فما زال يلقى عليه واحدًا واحدًا حتى فرغ من عشرته، والبخارى يقول:

«لا أعرفه».

ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة، والبخارى لا يزيدهم على أن يقول: «لا أعرفه».

فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال:

«أما حديثك الأول فقلت كذا، وصوابه كذا، وحديثك الثانى كذا وصوابه كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك.

فأقر الناس له الحفظ وأذعنوا له بالفضل».

فهذه الثقة الزائدة بالنفس نابعة من شعور العالم بأنه متمكن لما يقول، وأنه أعد نفسه لرسالة عزيزة إلى نفسه يرجو بها وجه خالقه، ومن هنا ذاع علمهم بين الناس، ووفق بهم الناس، فكانت أفكارهم صدى لصبر جميل مع العلم من أجل العلم، وتوظيف هذا العلم لخدمة العقيدة ثم يكون له بعد ذلك اجتهاده، إن أخطأ له صواب من اجتهد وأخطأ، وإن أصاب فله أجران.

وعصرنا الحديث عصر امتلأ بالمشكلات الجديدة، وأخذت الحياة العصرية صورًا جديدة، لم تكن موجودة فى العصور السابقة، بفعل التقدم العلمى والتطور الحضارى، ووجود أنماط من الحياة لم تكن موجودة قبل هذا التقدم الهائل الذى وصل إليه الإنسان. فقد صعد إلى القمر، وأرسل سفنه يجوب فضاء الله الرحيب، وفتت الذرة، وأقام المنشئات الصناعية العملاقة، وأصبحت البنوك وما يترتب عليها من الأمور الاقتصادية من

سمات هذا العصر، كل هذه الأمور فى حاجة إلى رؤية دينية من خلال كتاب الله وسنة رسوله، فالاستنباط، واجب، فى كل عصر من العصور، ومن الصعب أن نعيش على مائدة الأجداد، دون أن نضيف جديدًا بما يلائم عصرنا فى الأمور المستجدة على الحياة..

قال تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبعتمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾

[الآية رقم ٨٣ من سورة النساء]

فنحن إذن فى حاجة إلى الفقه الإسلامى، وإلى الفقهاء المجتهدين، الذين يفتون فى أمور العصر، حتى لو حدث اختلافات بينهم، كما رأينا من فتوى الشيخ الشعراوى فى مسألة التبرع بالأعضاء البشرية للغير.

والاختلاف فى مثل هذه الأمور إثراء للفكر الإسلامى، وليس قيدًا عليه، لأن الخلاف فى الفرعيات ينجم عنه فساد الحياة، وبذلك نفتح باب الاجتهاد الذى أغلق منذ زمن طويل، فليس هناك رأى واحد، ولكن هناك اجتهادات مختلفة، والاجتهاد هو الذى يفتح باب التقدم والرقى الفكرى..

ويقول الرواة: إن الإمام مالك كان إذا استنبط حكمًا يقول:

«إنما أنا بشر أخطىء وأصيب، فانظروا فى رأيى، كلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه».

وقد حث الإمام أحمد بن حنبل على الاجتهاد، وطالب تلاميذه أن يأخذوا من المصادر التى أخذ منها المجتهدون، الكتاب والسنة..

وقد ردد الرواة قوله:

«لا تقلدنى ولا مالكًا ولا الشافعى، ولا الثورى، وخذ من حيث أخذوا».

ولذلك فقد أعجبنى رأى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وهو يحدثنا أن القرآن له عطاء فى كل العصور، وهذا العطاء يأتى لأن كل عصر سوف يرى فيه إعجازًا جديدًا..

وربما لهذا السبب لم يفسر النبى عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم فى عصره.. لماذا؟

يقول شيخ الدعاة الشيخ الشعراوى:

«هذا الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا يمكن أن يحيط أحد من الخلق بكل أسراره وكنوزه.

ويقول أيضًا بعد هذه المقولة ليصل إلى النتيجة المنطقية لها».

ولذلك لم يفسر لنا رسول الله ﷺ القرآن، لأنه لو فسره لكان يجب أن يفسره بما تطبقه عقول معاصريه، ولو فسره بالأشياء التى ستوجد فى القرن العشرين أو الثلاثين أو الأربعين لتعجب معاصروه، ولا استعظموه أيما استعظام، لأنه للآن ما زال أناس ينكرون أن الأرض كرة تدور.

ولو أنه ﷺ فسره على قدر عقلية معاصريه ومعلوماتهم الكونية لحجر علينا وجمد القرآن.

لأن من يتصدر لتفسير القرآن بعد ذلك سيواجه بأن الرسول فسره هكذا، وعليك ألا تزيد عن ذلك. ولذلك فرسول الله ﷺ ترك تفسير القرآن حتى نأخذ كل مرحلة فكرية من لمحات القرآن، بقدر ما تستطيع ذلك، في أمور الكونيات، أما المطلوب من الأحكام فقد بينها وأوضحها للناس، هذا مع انسجام الحقائق العلمية مع الحقائق القرآنية.

ثم يحدثنا كداعية من دعاة العصر عن أهمية العلم التجريبي، لأن هذا العلم هو الذى يدفع بحركة التقدم إلى الأمام، أى أن له دورًا بجانب القيم الروحية التى تدفع إلى السمو الإنسانى.

فيقول:

«ولو نظرت إلى أساس أى رقى حضارى، أو اكتشاف سر كونى، لوجدت منشأة الملاحظة العلمية أولا، ثم التجربة، ثم النظرية، ثم حقيقة علمية، وهذا ما يريده الله منا حيث يقول:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُم عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾. [الآية رقم ١٠٥ من سورة يوسف]

مادام الله ينعى علينا أننا نعرض عن مظاهر الكون إذن هو يريدنا أن ننظر ونتدبر ونقف على كل ظاهرة كونية وقفة، نستنبط منها شيئًا نفيد منه، وكل الظواهر الكونية التى استنبط العلماء منها فوائد للناس كان الناس يمرون عليها ونحن عنها معرضون».

وبعد أن يوضح الشيخ أهمية العلم التجريبى وهو العلم الذى يدرس علوم الطب والهندسة والكيمياء والأحياء، والجيولوجيا وغير ذلك من

العلوم، التى تعتمد على التجربة، ويبين أن الإسلام لا يعارض العلم، ولا يقف ضد التطور، ولا يحول بين العالم وبين ما توصل إليه من إنجازات حضارية ونخرج من ذلك بقوله:

إذن القرآن يلفت إلى المنهج التجريبى، بعد ذلك نبحث هل القرآن نزل اليوم؟.

إنه نزل من أربعة عشر قرنًا، وهل ظل كلامًا نظريًّا ليس عرضة للتطبيق؟.

ويجيب.

لا.. عرض للتطبيق... إذن لماذا لا نأخذ واقع تطبيقه كما نأخذ مبادئ البشر وقوانينهم الوضعية؟ الذى ينجح فى التطبيق يبقى، والذى لا ينجح نعدله أو نلغيه.

ولو أن القرآن نزل اليوم نقول: إننا لسنا فارغين لكى نجرب، ولكن القرآن نزل منذ أربعة عشر قرنا، وقاد حياة.. وصنع حركة وأوجد مدنية.

عندما تأتى تتجادل مع شيوعى فيقول لك هذا الدين خرافة! فقل له ليس لك شأن بالدين، يعنى إذا كنت تقول هذا المنهج من الله، والله فى نظرك خرافة، نحن لا نجادلك فى ذلك، أنت حر!.

[وكأى داعية على وعى بفلسفات عصره ونظرياته وأيدلوجياته يناقش بالتى هى أحسن فيقول:

هب أن معى فلوس، ناقشنى فيها، حقيقة هى أم مزيفة؟

لكن لا تناقشنى فى مصدرها، ولا تقل لى من أين لك هذا؟

أنا أقول لك هذا المنهج جاءنى من الله، وأنت منكر لله ما علاقة المنهج بالمصدر الذى جاء منه، ناقش منهجى ومنهجك، ناقش منهجى وعطاءه، ومنهجك وعطاءه، وبعد ذلك لا يعنيك أن أقول: إن هذا المنهج من ربى أو ليس من ربى.

ويرجع بنا إلى منهج الإسلام الكامل..

فالنبى عليه الصلاة والسلام عندما يسألونه عن هذا المنهج الكامل، وهل أتى به من عنده فيقول:

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[الآية رقم ١٦ من سورة يونس]

ويتساءل الشيخ ويجيب:

فهل هناك شخص يعزى إليه هذا الكمال وبعد ذلك يقول: لا والله ليس من عندى، بينما فى المقابل أن أناسا يدعون من الكمال ما ليس لهم، والعجيب أنهم ينسبون القرآن لمحمد بعد أن تبين لهم أنه الحق فيقول القرآن على لسانهم:

﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

[الآية رقم ٣١ من سورة الزخرف]

إذن الوقفة ليست فى القرآن وإنما الوقفة فى أنه أنزل على محمد، إنما القرآن على العين والرأس فيقولون:

﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾.

[الآية رقم ٥٧ من سورة القصص]

كأنهم آمنوا أن ما معه هو الهدى، ولكن يتوقفون فى شخص النبى الكريم فيقولون:

﴿إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

منطق العقل يقول:

لو كان هذا هو الحق اهدنا إليه.

أليس هذا هو منطق العقل فميزوا أيها الناس واعقلوا كما يقول الحق:

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. [الآية رقم ١٦ من سورة يونس]

ومن خلال تحليلات الشيخ الشعراوى، من خلال إطلاله على ما يدور فى عالمنا المعاصر يرى أن خلاص المسلمين لا يكون إلا باتباعهم لمنهج الله، يومها، تحل مشاكلهم على كافة المستويات.

فهو يتساءل: ماذا يجب أن يحكم حركة الإنسان؟.

ويجيب:

منهج الله.

إذا أطاع الإنسان منهج الله فى حركته فى العقل والترك، وعاش فى قالب التكليف الربانى، فسيكون مثل الأشياء المسخرة فى الكون، كالشمس عندما تشرق وتغرب، وكالقمر عندما ينتقل فى منازله.

وعندئذ سوف تنتظم حياته ويريح ويستريح.

* * *

الشعراوى والجديد فى تناول السيرة

لم تعرف الإنسانية كلها فى كل العصور شخصية كشخصية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

شخصية مبهرة غاية الإبهار..

مبهرة فى تكوينها وسلوكها ونظرتها للأمور والحياة، بل لعل سمات العظمة فى هذه الشخصية، تدل على نبوته فهو وإن كان قد ولد فى مجتمع يعبد الأصنام ويقدسها لم يسجد لصنم قط.

وهو الذى عاش فى مجتمع قبلى، وبيئته صحراوية تبحث عن الأسمار والترفيه، لم يؤثر عنه إلا العزلة والتأمل الطويل، حتى أنه كان يعتكف الأيام ذوات العدد فى رمضان، متأملاً فى مظاهر الكون حوله، يريد أن يعرف الحقيقة.

فقد رعاه الله وكفله وحفظه قبل أن تأتيه الرسالة، وقد روى ابن عباس أن النبى عليه الصلاة والسلام قال:

«لم يزل الله عز وجل ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صفيًا مهذبًا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما».

وقد وصف الجاحظ بأسلوبه الشائق، وصف ما أوتى من بلاغة فقال:

«الكلام الذى قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصفة، ونزه عن التكلف، استعمل المبسوط فى موضع البسط، والمقصور فى موضع القصر، وهجر الغريب الوحش، ورغب عن الهجين السوقى، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه، ولم يتكلم إلا بكلام حف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهذا الكلام الذى ألقى الله تعالى المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، وهو مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا باءت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبدأ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصد، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أتم نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح فى معناه، ولا أبين من فحواه من كلامه ﷺ».

وما قيل عن بلاغته عليه الصلاة والسلام قيل عن مختلف شمائله التى يبدد فيها التكامل بأعظم معانيه.

ولا يمكن الحديث عن الإسلام وقيمه ومبادئه وتعاليمه، إلا بالحديث

عن الرسول نفسه، فسنته مفسرة للقرآن الكريم، وسنته هى المصدر الثانى للتشريع، وسلوكه وأخلاقياته قدوة للمسلمين فى كل العصور.

من هنا أيضا كتبت مئات الدراسات والمؤلفات حول السيرة العطرة، وهذه السير تتناول حياته عليه الصلاة والسلام، قبل البعثة إلى انتقاله إلى جوار ربه، مسجلة سيرة حياته، وغزواته ومعاركه، وتوجيهاته لصحابته..

وقد تنهج هذه الدراسات أو المؤلفات نهجًا آخر بإلقاء الضوء على أحداث السيرة، ومحاولة تفسيرها أو التعليق عليها، فهى تأريخ وتعليق على هذا التأريخ إن صح التعبير، كما أن هناك من المؤلفات من يبرز أحداث السيرة من خلال إبراز مواهب الرسول وعبقريته فى مختلف المواقف، التى مرت فى سيرته العطرة، وليس سردًا لوقائع هذه الأحداث وفى الدراسات المعاصرة للسيرة، نرى أن هناك من يفند المزاعم الذى كان يطلقها المستشرقون، ويفترون من خلالها على الرسالة والرسول، من أمثال ما كتبه العقاد، والدكتور طه حسين، والدكتور محمد حسين هيكل رغم اختلاف مناهج هذه الدراسات.

ولكن الشيخ الشعراوى وهو يقدم لنا السيرة من خلال كتابه (محمد رسول الله)، لا يأخذنا بالطريقة المعروفة لسيرة حياة صاحب الرسالة الأعظم، ولكنه يحدثنا بمنهج جديد - فى رأيى - فهو يحدثنا عن السيرة من خلال القرآن الكريم، فهو بتفسيره للآيات التى تتناول حياة الرسول، ومسيرة الدعوة نفسها، وما نزل من آيات قرآنية فى المناسبات المختلفة، من خلال كل هذا يرسم لنا أبعاد حياة النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام.

وإذا كانت كتب السيرة – أو الكثير منها – يبدأ بالحديث عما كانت عليه الحياة الإنسانية قبل الدعوة المحمدية – وما يعج فيها من فلسفات وعبادات ومعتقدات، ما حرف منها، وما لم يحرف، وما كان يسود المجتمعات من عادات وتقاليد وقيم، ما يتلاقى مع العقل، وما يتنافى مع المنطق فإن الشيخ الشعراوى يأخذ منهجًا آخر، فهو يحدثنا بدل كل ذلك عن إعداد الكون لاستقبال الرسالة الخالدة فهو يقول:

«وقبل أن نبدأ فى الحديث عن رسول الله ﷺ، نتحدث عن كيف تم إعداد الكون لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام، فالله سبحانه وتعالى أعد هذا الكون كله لاستقبال رسالة خاتم الأنبياء، ومنهج الله الذى سيقوم ﷺ بإبلاغه إلى أهل الأرض، ومنذ بداية الخلق كان اسم محمد عليه الصلاة والسلام والإعداد لرسالته، فمنذ عهد آدم، كان المنهج هو الإسلام، فالمنهج الذى نزل به آدم إلى الأرض وتلقاه من الحق سبحانه وتعالى مباشرة كان إسلام الوجه لله، وإسلام الأمر لله، ذلك هو منهج السماء منذ بدأ الخلق حتى قيام الساعة، وكل الأنبياء جاءوا بالرسالات السماوية، إنما كانوا يبشرون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وإذا قرأنا القرآن نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى. قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

[الآية ٨١ من سورة آل عمران]

وهو يحدثنا أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ من أصلاب بنى آدم الذرية

التى ستأتى حتى يوم القيامة، وأشهدهم على نفسه وعلى ربوبيته، وذلك مصداقًا لقوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِم، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾.

[من الآية ١٧٢ من سورة الأعراف]

ولذلك جاء فى الأثر مما يروى عن ميسرة رضى الله عنه حين سأل رسول الله ﷺ:

يا رسول الله متى كنت نبيًّا؟

فأجاب: «وآدم بين الروح والجسد حين أخذ الله منى الميثاق». وهكذا شهد رسول الله ﷺ بربوبية الخالق الأعظم مع الخلق جميعًا، وآدم بين الروح والجسد، وبين آدم عليه السلام وبين محمد عليه الصلاة والسلام، جاء موكب الرسل، يهدى إلى طريق الحق، حتى لا يأتى أحد يوم القيامة مجادلاً، بأنه لم يكن هناك مذكِّر بمنهج الله، أو مبشر ونذير بما سيلقاه الإنسان فى الآخرة.

وبعد أن يحدثنا الشيخ الشعراوى عن الرسالة الخالدة، وإعداد الكون لها، يتساءل لماذا كان الرسول خاتم الأنبياء؟.

ومن خلال عرضه لرسالة الإسلام كرسالة جاءت لهداية العالم كله يقول لنا:

«ولقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون، وأعده للإنسان قبل أن يخلق الإنسان، وجعل الإنسان هو السيد وكل الكون يخدمه وكل مسخر له، ولكن الكثيرين لا يسألون أنفسهم من الذى سخر؟.

ومن الذى خلق؟.

السؤال الثانى: لماذا كان رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء؟

ويجيب: لأنه ببعثه عليه الصلاة والسلام اكتمل الدين، اكتمل المنهج، مصداقًا لقوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [الآية: ٣ من سورة المائدة]

ويورد حديث الرسول الكريم:

«مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

ويقول الشيخ الشعراوى:

«والله سبحانه وتعالى قد جعل معجزة رسول الله ﷺ هى منهجه، ليبقى المنهج محروسًا إلى يوم القيامة بالمعجزة.

فالكتب السابقة ائتمن الله عليها خلقه، ماذا فعلوا بها؟ نسوها، وما لم ينسوه حرفوه، وما لم يحرفوه أخفوه، وما لم يخفوه بدلوه وغيروه.

وهكذا لم يكن البشر مأمونين على منهج السماء، لأن هوى النفس تدخل، وأطماع الدنيا غيرت وبدلت، ولكن الحق سبحانه وتعالى حفظ القرآن الكريم من أى تغيير أو تبديل». ومؤرخو السيرة تحدثوا عن أوصاف النبى عليه الصلاة كما وصفه معاصروه، والشيخ الشعراوى بعد أن يسوق هذه الأوصاف الجسمية والنفسية، يجيب عن تساؤل حول

أسباب اختيار الله لرسوله أميًّا، والأمى قد فسرها البعض بأنه الذى لا يجيد القراءة والكتابة.

والبعض الآخر فسره على أنه النبى الذى يجىء من الأمم الأخرى من غير بنى إسرائيل.

ومن هنا نرى أن الشيخ الشعراوى يفسر الأمى، أى كما ولدته أمه لم ينطق علمًا من البشر.

لماذا؟

يرى الشيخ الشعراوى أن الله اختار نبيه أميًّا، لأن الله سبحانه وتعالى الذى اختاره خاتم المرسلين، أراد أن يعلمه بنفسه، وأراد ألَّا يتلقى رسوله عليه الصلاة والسلام إلا علم السماء، ولذلك اختاره أميًّا، وذلك من حسن إعداد الحق تبارك وتعالى لرسالة نبيه ﷺ، فلو أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يقرأ أو يكتب لقالوا أخذ العلم مما قرأ، أو أخذ العلم من كتب الأولين، أو من حضارات الأمم المعاصرة.

ولذلك اختار له الله سبحانه وتعالى أن ينشأ أميًّا، حتى يعرف الجميع، أن كل علم رسول الله ﷺ جاء من السماء وبرغم هذا الاختيار وهذه الحكمة فقد غفلت عقول الكفار عنها، وادعوا أن رسول الله ﷺ يعلمه بشر، وادعو أنه جاء بهذا العلم من أساطير الأولين.

يرد الله تبارك وتعالى عليهم يذكرهم بمعجزة الأمية لرسوله فيقول سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية رقم ٤٨ من سورة العنكبوت]

إذن فالحق سبحانه وتعالى، يلفت البشرية كلها إلى أنه اختار أن يكون رسوله ﷺ أميًا، حتى يرد على ما يدعيه أنصار الباطل، وأعداء الإيمان، من أن رسول الله ﷺ أتى بالقرآن من عنده.

ولذلك فالحق سبحانه وتعالى يقول لنبيه، لو أنك كنت تقرأ أو تكتب، قبل أن تأتيك النبوة، فربما كان ذلك حجة لأنصار الباطل أن يقولوا: إن هذا القرآن من عندك، ولكنك لا تقرأ ولا تكتب، ولم تقرأ كلمة واحدة فى حياتك قبل الرسالة، ولا كتبت كلمة واحدة.

إذن فحجتهم باطلة، لا سند لها من الحقيقة أو الحق، وإنما هى مكابرة لعدم الإيمان، وحجة للكفر، وحجتهم مردودة عليهم، وفى ذلك يقول الله جل جلاله لنبيه ليرد على دعاوى أهل الباطل.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية ١٦ من سورة يونس].

ويسوق الشيخ أهمية الآية فى حياة الرسول وحياة الدعوة لإثبات أن ما جاء به ليس من عنده ولكن من عند الله سبحانه وتعالى، فيقول شيخ الدعاة:

«وهكذا كانت الأمية شرفًا لرسول الله ﷺ وضرورة للرد على دعاوى الباطل، ويقينًا للمؤمنين لأن كل ما أتى به رسول الله ﷺ إنما هو وحى من وحى السماء».

ونمضى مع الشيخ وهو يحدثنا عن السيرة العطرة من خلال ما جاء فى القرآن الكريم، فعندما جاءه وحى السماء، ونزلت أول آيات القرآن الكريم.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [آية رقم ١ من سورة العلق].

فهو يفسر هذه الآية: بأن الله يعلم - يا محمد - أنك لا تقرأ ولا تكتب ولكنك تقرأ باسم الله، أى أن الله هو الذى سيعلمك لتكون أيها الرسول الأمى معلما للبشرية كلها تأخذ عنه الهدى والعلم الحقيقى والنور.

أنت أيها النبى الأمى سيعطيك الله من العلم ما يفوق علم البشر جميعًا، وأولئك الذين أفنوا أعمارهم فى القراءة والكتابة، ووصلوا إلى أكبر درجات العلم، سيأتونك أنت أيها النبى الأمى، ليأخذوا عنك علم الدنيا والآخرة ويتتلمذوا على يديك، لتصبح أنت المعلم، وهم الذين يأخذون عنك العلم، لأنك لم يعلمك بشر، ولكن الحق سبحانه وتعالى هو الذى علمك، وعلمك ما لم تعلم البشرية كلها.

وهكذا كان اللقاء الأول بين رسول الله ﷺ وجبريل لقاء يخبره فيه أنه سيحمل العلم إلى الدنيا كلها، لقاء يرينا إعجاز الحق سبحانه وتعالى ومعجزته لرسوله، من أن هذا النبى الأمى الذى لم يقرأ كلمة، ولم يكتب كلمة سيصبح معلمًا للبشرية كلها، وكانت هذه أول معانى المعجزة لرسول الله ﷺ.

ويمضى الشيخ بعد ذلك يطوف بنا مسيرة حياة الرسول ﷺ وبعثته، وما لقيه فى سبيلها من متاعب يُهوِّن منها إيمانه بأنه يؤدى رسالة الله إلى خلقه، كما يحدثنا عن غزواته ومعاركه ضد الكفر والشرك من خلال هذا المنهج المتميز، من خلال ما نزل من آيات الذكر الحكيم، شارحًا هذه الآيات التى ترسم صورة للدعوة ومسارها، وصورة لصاحب الدعوة

نفسه، ومواقفه التى تعرض لها، وردود فعله إزاءها، وكان ﷺ فى جميع الأحوال خلقه القرآن الكريم كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها.

ولا شك أن الشيخ الشعراوى رجل آتاه الله موهبة التفسير، وقدرته على الوصول إلى عقول الناس وقلوبهم على اختلاف مشاربهم ومعارفهم وثقافاتهم موهبة تجعل منه واحدًا من أبرز الدعاة الذين عرفهم تاريخ الدعوة..

وإذا كان الحديث عن الشيخ فى عطائه فى مجال الدعوة، يمكن أن يملأ عشرات المجلدات، فإنه يكفى أن نشير إليها مجرد إشارة إصبع من بعيد، أما عالمه نفسه، فيمكن الاستمتاع به من خلال محاضراته الأسبوعية فى التليفزيون، والكتب التى كتبت تسجيلاً لآرائه فى مختلف المناسبات.

وبعد ذلك علينا أن ندخل عالمه من خلال هذا الحوار، الذى أجريته معه فى مناسبات مختلفة، ومن خلال هذا الحوار يمكن أن نجد عطر الروح، ونسمات ترفعنا من عالمنا المادى الجاف إلى ضفاف السمو الروحى.

١
الشعراوى وقضايا الفكر الإسلامى

قبل أن ندخل فى حوار مع عالمنا الجليل لابد أن نقف وقفة قصيرة حول فكر شيخ الدعاة، أو ننظر إلى فكره من خلال نظرة طائر كما يقولون.

فالشيخ الشعراوى عرفه الناس من خلال التليفزيون أولًا، وعندما وجدت أحاديثه صدًى جماهيريًا بدأت دور النشر، تسجل ما يقوله الشيخ وتنشره فى كتب أو كتيبات.

ونحن فى هذه الإلمامة السريعة بفكر الشيخ الكبير نحاول أن نلم بالأطراف التى ننظر من خلالها فيما ألقاه على الناس، وهو يدعو إلى دين الله بفكره العميق، وأسلوبه السهل، وقدرته على توصيل فكره إلى الناس بسهولة ويسر، لقدرته العجيبة فى فهم أسرار اللغة، وقدرته على مخاطبة

الناس، بجانب اطلاعه على مختلف ألوان المعرفة، فواضح أنه قرأ كثيرًا فى الكتب العلمية المختلفة، كما قرأ الفلسفات المختلفة، واطلع على ما كتبه المستشرقون عن الإسلام ونبى الإسلام، بجانب تعمقه فى الفكر الإسلامى، فجاءت دعوته إلى الله عن وعى وفهم مستنير.

والمتابع لما قدمه الشيخ محمد متولى الشعراوى فى مجال الدعوة نرى أنه قام:

* بالحديث عن سيرة النبى ﷺ، وشرح العديد من أحاديثه ﷺ.

* وقام ويقوم بتفسير القرآن الكريم فى خواطره حول القرآن الكريم.

* وأنه قام بالرد على ما يثيره المستشرقون من شبهات حول الإسلام، وهو فى رده عليهم يفند مزاعمهم بالمنطق، فمعظم هؤلاء المستشرقين فى حديثهم عن الإسلام ونبى الإسلام يكون إما عن قصد بغرض تشويه الإسلام، وإما لعدم فهمهم أسرار اللغة العربية فيجىء تفسيرهم لآيات القرآن الكريم أو فهمهم بمعنى أدق للقرآن الكريم بعيدًا عن الصواب لأنه لا يفهم معنى القرآن الكريم فهمًا حقيقيًّا.

* ولا أقول تفسيره - إلا مَن كان عنده إلمام كاف باللغة العربية، وأسرارها، وقواعد النطق بها، وأيضًا ربما باللهجات العربية فى شبه الجزيرة العربية عند نزول القرآن الكريم منجمًا على آخر رسل الله محمد ﷺ.

* كما أن له وجهات نظر عملاقة فى حديثه عن الإسلام كعقيدة ومنهج.. حيث يتحدث بعمق وأسلوب سهل، وسلس عن وجود الله، ورغم أن مسألة وجود الله بديهية من البديهيات التى فطر الله الناس عليها، فهو

يحدثنا عن الأدلة المادية لوجود الله، فيقول:

- الله سبحانه وتعالى وضع فى كونه كله آيات تنطق بوجوده وتنطق بعظمته، وتنطق بأنه هو الخالق.

الجماد يشهد أن لا إله إلا الله.

والنبات يشهد أن لا إله إلا الله.

والحيوان يشهد أن لا إله إلا الله.

والإنسان يشهد أن لا إله إلا الله.

وكل هذا يشهد بأدلة ناطقة لا تحتاج حتى إلى مجرد البحث، والتفكير، والعمق.

ويقول الشيخ الشعراوى:

«ولقد خاطب الله سبحانه وتعالى كل العقول فى كل الأزمان، فجعل هذه الأدلة تنطق بوجوده من أول الخلق، ثم كلما تقدم الإنسان، وارتقت الحضارة، وكشف الله من علمه ما يشاء لمن يشاء، ازدادت القضية رسوخًا، وازدادت الآيات وضوحًا، ذلك أن الله شاء عدله أن يخاطب كل العقول، فجاءت آيات الله فى الكون الناطقة بألوهيته وحده ليفهمها العقل البسيط، والعقل المرتقى فى الكون، ولا أعتقد أن أحدًا يستطيع أن يجادل فى هذه الأدلة، ولا أن ينكر وجودها ولقد أوجد الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون أدلة مادية، وأدلة عقلية، وأدلة تصل إليها بالحواس، كلها تنطق بوحدانية الله ووجوده».

ويرى الشيخ الشعراوى أن قضية وجود الله محسومة، فهى بديهة واضحة المعالم، ولم يأت أحد ادعى أنه خلق الكون، والقرآن الكريم

يوضح هذه الحقيقة بقوله:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ والأَرْضَ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. [الآية ٦١ من سورة العنكبوت]

ولنقف بسرعة كما قلنا من خلال نظرة طائر إلى كل زاوية من هذه الزوايا الهامة التى تطرق إليها الشيخ الجليل فى دعوته، حتى تقترب أو تشير مجرد إشارة إصبع من بعيد إلى رؤية فى مختلف هذه الزوايا.

حديثه عن الرسول

إن الشيخ الشعراوى عندما يتحدث عن رسول الله ﷺ، فإنه يتحدث من خلال الآيات القرآنية التى تتحدث عنه ﷺ فيقول: إن الكون أعد قبل الرسالة لتلقى الرسالة الخالدة، «فالله سبحانه وتعالى أعد الكون لرسالة محمد ﷺ، فالله سبحانه وتعالى أعد هذا الكون لاستقبال رسالة خاتم الأنبياء، ومنهج الله سيقوم ﷺ بإبلاغه إلى أهل الأرض، ومنذ بداية الخلق كان اسم محمد ﷺ والإعداد لرسالته، فمنذ عهد آدم كان المنهج هو الإسلام، فالمنهج الذى نزل به آدم إلى الأرض، وتلقاه من الحق سبحانه وتعالى مباشرة، كان إسلام الوجه لله وإسلام الأمر لله، ذلك هو منهج السماء منذ بداية الخلق حتى قيام الساعة، وكل الأنبياء الذين جاءوا بالرسالات السماوية إنما كانوا يبشرون برسالة محمد ﷺ.

وإذا قرأنا القرآن، نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ

رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى، قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

[الآية: ٨١ من سورة آل عمران]

وهكذا أخبرنا الحق سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم أنه أخذ على كل النبيين عهدًا بالتبشير بمجىء رسول الله ﷺ وبتصديق رسالته، وإذا كان الحق جل جلاله قد أخذ هذا الميثاق مرة واحدة بأن جميع النبيين فى عالم الذر فالثابت أن كل نبى من النبيين أخِذَ عليه ميثاقٌ بأن يبلغ أتباعه والمؤمنين به برسالة محمد ﷺ.

وترى الشيخ فى كتابه «محمد رسول الله» يحدثنا من خلال القرآن الكريم عن شمائل الرسول ومواقفه، منذ بدأ يدعو إلى دين الله، حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ومن خلال هذه الرحلة يحدثنا عن معجزات النبى ﷺ، كالإسراء والمعراج، ثم يتوقف عند معجزة النبى الكبرى، معجزة القرآن الكريم، باعتباره المعجزة الخالدة التى ستظل نور هداية للبشرية فى كل العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأن الله سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظ كتابه الكريم.

تفسير القـرآن

والشيخ قدم خواطره فى تفسير القرآن الكريم، وربما اختار كلمة خواطر على أساس أن القرآن دائم العطاء، وأنه يعطى عطاءه فى كل العصور، وأنه لا أحد يمكنه أن يفسر القرآن، وإلا لفسره رسول الله، كما

أن الرسول ﷺ لم يفسر القرآن الكريم لأنه لو فسره ما جرؤ عالم من العلماء أن يفسره بما يخالف ما فسره الرسول، ومن هنا فقد ترك الرسول ﷺ لكل عصر من العصور أن يقرأ القرآن، ويفهم منه ما يمكنه فهمه وهو يفرق بين قوانين الأرض وقوانين الله، ذلك أن هناك فرقًا جوهريًا ربما لانتبه إليه الكثيرون، يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

فقوانين الأرض عند التطبيق لا تقتضي أى نوع معين من السلوك، ولكن قوانين الله تقتضى مع التطبيق سلوكًا بالعمل، ومأساة هذا العصر ليست فى أن نصل إلى النص الواضح فى قوانين الله، ولكن القدوة السلوكية هى القليلة، بل النادرة، وقوانين الله محتاجة إلى سلوك وإلى قدوة وهذا ما يغيب عنا وتفسر ذلك قليلا، أن الله سبحانه وتعالى يريد من المؤمنين أن يطبقوا قوانينه، وأن يطبقوها أولاً على أنفسهم، فإذا لم يبدأ الإنسان بنفسه، انتفت القدوة الإيمانية التى تجعل الناس يستمعون إليه ويصدقونه.

ويرى الشيخ الشعراوى فى خواطره القرآنية أن عملية الخلق من أمور الغيب، وأنها علم اختص به الله سبحانه وتعالى ذاته الكريمة، لا أحدًا يعرف عنه شيئًا، وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خلقَ أَنْفُسِهِمْ، وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾. [الآية: ٥١ من سورة الكهف]

شبهات المستشرقين

ومن أهم الأدوار التى يقوم بها الداعية الكبير، هو ردوده على المستشرقين، وعلى المنبهرين بهؤلاء المستشرقين، الذين يرددون أقوالهم بلا فهم، وإذا كان هناك كثيرون قد تصدوا للمستشرقين من كبار المفكرين ورجال الأزهر، إلا أن الشيخ الشعراوى يرى أن لكل مرحلة، وكل أوان ظروفها ومتطلباتها فمستشرقو اليوم غير مستشرقى الأمس البعيد أو القريب، وإن توحدت نواياهم، وليس من المعقول أن تواجه مستشرقى اليوم بنفس الأساليب التى واجهنا بها مستشرقى الأمس.

وهو يرى أيضًا:

أن أعداء الإسلام ينفثون سمومًا جديدة، سمومًا غير تقليدية أو مألوفة، تستمد عناصرها ومكوناتها من المتغيرات من تناقضات جسيمة فى العلاقات والسلوك، وهذا أمر يتطلب من علماء الإسلام اليوم التصدى لها برؤية علمية موضوعية يمكن أن تقطع الطريق على كل هذه النوايا.

رؤية جديدة تعرض القيم الإسلامية بروح حياة متجددة، تكبح جماح هؤلاء المستشرقين وتحد من أهدافهم، الخفية، فلا جدوى الآن من المدرسة التقليدية فى عرض الإسلام والتعريف به، والتى تعتمد أكثر ما تعتمد على الحماس المندفع، والخطابية المفرغة دونما ارتكاز على موضوعية ما.

وهو يرى أيضًا أن الموقف الآن يتطلب مدرسة جديدة لها سماتها الخاصة وعلماؤها ذوو الرؤية الجديدة، مدرسة تقوم من الآن بعرض الإسلام عرضًا هادئًا بعلمية متمكنة وموضوعية محددة.

٢
وقفــة

قبل الدخول فى حوار مع الشيخ الشعراوى فى مختلف القضايا التى تهم القارئ، يجب أن أقف وقفة قصيرة، هذه الوقفة تقربنا إلى فكر الشيخ، فأنا أذكر أول مرة سمعت فيها الشيخ الشعراوى فى التليفزيون وكنت فى بداية حياتى الصحفية وشدنى الشيخ بعنف.

فأسلوبه غير تقليدى.

وطريقته فى عرض أفكاره تختلف عن غيره من الدعاة.

حتى إلقاؤه، له طريقته المنفردة.

وكنت فى هذه الفترة شديد الولع بقراءة الأدب والفلسفة والفكر الأوروبى، بجانب فهمى فى قراءة التراث وقراءة ما يكتبه رواد التنوير فى مصر من أمثال الدكتور طه حسين، والعقاد، ومحمد حسين هيكل.

ومع كثرة قراءاتى كنت أشبه بالملاح وسط أمواج عاتية وهو على زورق صغير..

وكانت علامات الاستفهام الكثيرة التى تدور فى ذهنى هو كيفية الخروج سالمًا من وسط هذه الأمواج العاتية والوصول إلى الشاطىء!

فبحر المعرفة بلا ضفاف.

ولكن إلى أى شاطىء أحاول أن يرسو عليه قاربى الصغير؟.

أهو شاطىء الأدب بجمالياته ورؤياه للحياة من خلال هذا العالم الساحر الذى يحاول أن يجمل الحياة، عالم الفن؟

أم هو شاطىء الفكر الدينى، فلا قيمة للحياة بلا قيم دينية وفهم أمور الدين حتى يستقر الإيمان فى الوجدان، ولا معنى للحياة بلا إيمان.

وعندما عكفت على قراءة المذاهب الفلسفية، ابتداء من الفلسفة اليونانية، ومرورًا بالفلسفة الإسلامية، حتى الفلسفات المعاصرة، كنت أشعر أن الفلسفة كالماء المالح.. كلما شربت منه ازددت عطشًا، ومع ذلك فإن هذه المياه لا تروى ظمأ، وليس بإمكانها أن ترسو بالإنسان نحو شاطىء اليقين!

حتى عندما قرأت الفلسفة الإسلامية، وجدت أن هذه الدراسات أشبه بالرياضة العقلية التى ربما توسع من مدارك الإدراك، ولكن قد يضيق بها الصدر وإن اتسع لها الوجدان!

وأردت أن أجرب بحار الصوفية، تلك التى ترى أن معرفة الله تأتى بالتذوق، بالمجاهدة، بالحب، بالعبادة، بالزهد، وكل هذه الروافد، تجعل الحق يضىء للمريد جوانب نفسه، فيرى بنور الله.

ولكن وجدت أن التصوف له محاذير..

فهناك التصوف الذى يعتمد على الكتاب والسنة.

وهذا التصوف هو الذى هفت إليه نفسى.

أما التصوف الآخر، التصوف الفلسفى الذى يستمد بعض روافده من فلسفات غريبة عن الإسلام، فهو تصوف وإن اعتمد على التأويل العقلى إلا أنه ملىء بالمحاذير!

ووجدت أن الإنسان من الممكن أن تكون له رؤياه فى الحياة.. من خلال تجاربه وقراءاته المختلفة ولا تناقض فى أن تكون على بصيرة بأمور دينك، وشغوفًا بالأدب ومتصوفًا!

فى هذه الفترة تابعت دروس الشيخ، وعلمت أنه متعمق فى أمور الدين بحكم دراسته الأزهرية، ومتعمق فى اللغة بحكم تخصصه، فهو خريج كلية اللغة العربية بالأزهر، كما لفت نظرى اطلاعه العميق على الفكر الإسلامى والفلسفة أيضًا، وهو شاعر وله قصائد.

وكل هذه المكونات قربتنى من فكر الشيخ.. رغم أننى لم أكن رأيته.!

ولا أعرف لماذا لم أتوجه إليه - حتى بحكم عملى كصحفى - وظللت بعيدًا عنه، وإن كنت حريصًا على سماعه وقراءة ما يسجله الآخرون من أحاديثه على شكل كتب وكتيبات.

وعندما التقيت به بعد ذلك، وكان ذلك بطريق الصدفة البحتة عندما دعانى أحد الأصدقاء لصحبته لزيارة الشيخ فى منزله بجوار مسجد مولانا الإمام الحسين.

ورأيت نفسى وجهًا لوجه أمام الشيخ الشعراوى، إنسان يفيض رقةً وتواضعًا وحياءً. !

وكان حوله العديد من محبيه!

كنت أنظر إليه، وأستمع إلى أحاديثه ولم أنطق بكلمة، ولا سألت سؤالًا، ولكنى فقط كنت أستمع إليه، وأنظر إليه وهو يتحدث، فتصل كلماته إلى القلب والعقل جميعًا.

وقررت أن ألتقى معه فى لقاءات صحفية.

وعندما بدأت لقاءاتى معه، كان الرجل فى إجاباته على ما طرحته من أسئلة متدفق العطاء، وكنت أعجب بسرعة بديهته، وعمق تفكيره، وبساطته، وتواضعه، وقدرته الفائقة، على إيصال ما يريد من فكر بسهولة ويسر وعمق.

ومن خلال الحوار تتضح رؤية الشيخ المستنير لقضايا الفكر الإسلامى، وقضايا العصر.

وهذه بعض النماذج المختارة من الأحاديث التى أجريتها مع شيخ الدعاة، الشيخ محمد متولى الشعراوى، فى مختلف المناسبات، وهى مختارات من هذه الأحاديث وسوف يجد القارئ فيها الإجابات الشافية للعديد من علامات الاستفهام، التى يمكن أن تخطر على البال، فإلى حديث الروح مع الشيخ الشعراوى!!

٣

لغة القرآن بين الإعجاز الإلـهى والعجز البشرى

* القرآن: المعجزة الإلـهية الخالدة على امتداد مسيرة الزمان وحتى قيام الساعة، كلمة رب العـالمين إلى خلقـه هدايـة لهم ومنهجًا لحيـاتهم ودستورًا للأخلاق، والذى تعهد المولى عز وجل بحفظه، والقرآن بحر عميق يحتاج لملاح ماهر كى يخوض فى أسراره ومعانيه وبيانه.

ولذا كان اللقاء مع الداعية الإسلامى المستنير الشيخ محمد متـولى الشعراوى ليضع نقاطًا واضحة على الحروف حول معجزة لغة القرآن، وكيف تحـدى به الله البشـر؟، ويقف الشيـخ الشعـراوى عنـد المتنبى وما تردد عنه من ادعائه النبوة، ويناقش فى وضوح قضيـة الحريـة فى الإسلام، وكيف أنها فى الإسلام تفوقت على كل تجارب الحرية فى العالم،

وإيمان الفطرة ومنزلته عند الخالق.. وأخيرًا وليس آخرًا: كيف كرم الإسلام المرأة وصان حقوقها.

ويمضى الحديث مع الشيخ الشعراوى إلى عالم المعرفة والشرح لجوهر الإسلام بقلب مستنير وعقل متفتح..

* قلت للشيخ الشعراوى:

– يقولون: إن اللغة العربية تتكون من نثر وشعر وقرآن.. فما رأيك فى هذه المقولة؟

* وقال الشيخ الجليل الداعية الإسلامى:

– المقولة صحيحة ولها أدلة، الأدلة أن اللغة ويقصد منها لا القواعد وإنما يقصد منها الأثر الناشىء عن الجمال فى الأداء للمعانى على حسب هذه القواعد.

فحين يتكلمون عن الأدب يتكلمون عنه إما نظمًا وإما نثرًا، وزادوا على ذلك نثرًا فنيا.

فلما أرادوا أن يأخذوا الآثار المنسوبة إلى العربية لكى يصنفوها، وجدوا أن القرآن كلام أدبى عال وراق، فأرادوا أن يدخلوه فى تصنيف معين، هل هو نثر، هل هو شعر؟ فإذا أدخلوه فى النثر فهو ليس على طريقة النثر، وإن أدخلوه فى الشعر فهو ليس على طريقة الشعر.. وإن أدخلوه فى السجع فهو بعيد عن ذلك أيضا.. فقالوا: إن القرآن لا يصح أن يدخل فى هذا التقسيم، لماذا؟

لأننا نتحدث عن لغة البشر، وآثارها الإنتاجية فى الأدب والبيان،

والتصوير ولكن القرآن لغته أعلى من لغة البشر. فيجب ألا تدخل فى تقاسيم البشر..

إذن فاللغة العربية عبارة عن:

* قرآن وهو كلام الله.

* غير قرآن وهو كلام الناس، كلام الناس على مقتضى الإفصاح والإبداع والبيان، أعنى اللغة الفصيحة، وإن كان الكلام هو لغة قضاء الحاجات فهو العامية، هذا الإبداع إما أن يكون له نغم منضبط نسميه شعرًا، وإذا لم يكن له نغم منضبط نسميه مرسلًا ونثرًا، فإن كان من الناس من يجيد الإتقان الجمالى من الشعر، يصبح ذلك هو النثر الفنى.

الإعجاز فى القرآن

* يقولون: أعنى بعض علماء الكلام أن العرب كان من الممكن أن يقلدوا كلام القرآن، ولكن الله صرفهم عن ذلك، فما رأيك؟

* قال فضيلة الشيخ الشعراوى:

- الصرفة ماذا تعنى؟ العرب كانوا أهل بيان وفصاحة، ولهم أسواق يتبارون فيها فى شتى مجالات القول، فحرفتهم الكلام، فأراد الله أن يتحداهم فيما يجيدونه، لأن الذى يريد أن يعجز فلابد أن يعجز الذى أمامه فى شىء هو فيه متقنه.

مثلًا عندما أعجز إنسانا فى مجال القوة، فلابد أن يكون رياضيا على

درجة عالية من اللياقة البدنية، والإعجاز فى هذا التحدى، وليس الإعجاز أن تتصدى لإنسان مريض، ولذلك يجب أن تلحظ أن الناس الذين كانوا ضد العرب قالوا: إن القرآن جاء فكتم أنفاس العرب، ودك كبرياءهم اللغوى، ولكن عجزهم أمـام القرآن شهـادة لهم، لأن الله لا يتحدى الضعيف، ولكن يتحدى القوى، فاختيار الله لهم فى أن يتحداهم بالقرآن، دليل على أنهم أعظم الناس فى البلاغة والفصاحة ولذلك قال الله تعالى:

- ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الآية: ٤٤ من سورة الزخرف]

مع أنه هو الذى جاء ليكبتهم، فإنه هو الذى سيعطيهم الشرف

- ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾

[الآية: ١٠ من سورة الأنبياء]

صدقه: إنهم عجزوا أمام الله، ولا يعجز أمام الله إلا إذا كان الله قد رآنا أهلاً أن يتحدانا، ولا يتحدى الله بقدرته إلا من هو فوق قدرة البشر الموجودين، إذن فهو شهادة للعرب.

والعرب لم يعجزوا عن الإتيان بمثل القرآن، لأنهماعاجزون ولكن الله صرفهم عن ذلك.

ولو لم يصرفهم الله لقالوا: ماذا يريد بالمعجزة؟ ماذا يهدف من وراء المعجزة؟ إنه أراد بالمعجزة أن يجعلهم يقفون حيارى أمام هذه المعجزة، ومادام قد صرفهم، فهذا هو الإعجاز.

ولنناقش المسألة من جميع الوجوه.

لو أن هذه المسألة صرفة لما حاول أحد هذه المحاولة؟

ولكن هناك من حاول.

إذن المسألة هنا ليست صرفة، ولكنها عجز، وهبها أنها صرفة فالذى تريد أن تفر منه أثبته لأن من الذى صرفه؟

- الله.

وقفة مع المتنبى

* بالمناسبة لقد غر المتنبى عبقريته الشعرية، حتى أن البعض اتهمه بادعاء النبوة لقوله:

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

فما رأيك فيه أولاً كشاعر؟

* وقال الشيخ الشعراوى:

- المتنبى سيد شعراء العربية فى مجموعه، وإن فاقه بعض الشعراء فى بعض الجوانب، ولكن فى مجموعه خير من مجموع أى شاعر آخر..

وصمت الشيخ الجليل قليلاً كأنه قد تداعى إلى خاطره بعض الذكريات وقال:

- كان لنا أستاذ رحمه الله - يوسف نجاتى - كان أستاذًا لنا فى كلية اللغة العربية، وكان موسوعة، وكان يجول بنا فى شتى فروع اللغة، وكان يقول لنا: العربية ليس فيها إلا الأحمدين، أحمد شوقى، وأحمد أبو الطيب المتنبى.

* هل ادعى المتنبى النبوة حقا؟

- هبه ادعاها فما معجزته؟ فمن يدعى النبوة نقول له: ادع كما شئت، إن كل نبى يأتى بما يعجز عنه البشر، ويتحدى حتى يجمع المعارض كل مواهبه، حتى لا يقول هذا المعارض: إنه كان بإمكانى ذلك.

وهب أن هذه إشاعة.. فما الذى ألصق هذه الاشاعة بالمتنبى، حتى أصبح لا يعرف إلا بها، إذن لابد أنها كان لها أصل، وإن كان الأصل فى فترة غرور انتابته، ثم عاد فعدل عنها. وآفة العباقرة أن كل خواطرهم تسجل عليهم ولو جئنا بأروع الورعين، وقلنا له سجل خواطرك التى مرت بك، فربما (يطلع) ملحد.

وقد ترددت عنه حكاية وهذه الحكاية قد تثبت الأصل، عندما رأى عبدًا اسمه زيتون، فسأله المتنبى:

- ما اسمك؟

- اسمى زيتون..

- أسموك زيتونًا وما أنصفوا؟ لو أنصفوا سموك زعرورًا، إن فى الزيتون نورا يضىء وأنت لا زيتًا ولا نورًا.

وكان زيتون هذا ذكيا فسأل المتنبى بدوره:

- وأنت ما اسمك؟

- المتنبى.

- يا لعنة الله هبى على قفا المتنبى.

ويا قفاه تدانى حتى تصير بقربى.

إن كان هذا نبيا.

فالقرد لا شك ربى.

فهذه الحكاية حتى لو كانت موضوعة، فهى تعنى أن ادعاء النبوة له صدى.

والسؤال هنا: هل هو توقف عند هذا الحد أم رجع عن ذلك؟

فهم يقولون مثلاً: إن المعرى قد اعتراه الشك، هبه سجلت عليه كل خواطره وهب أن إنسانًا عندما أخذ يسجل خواطره، جاءت الخواطر عن الله، عند أى إنسان وسجلت عليه، ولكن لا أحد يسجل على أحد.

* قلت للشيخ الشعراوى: مادمنا نتحدث فى جماليات الأدب هل يمكن أن نقيم الأعمال الأدبية بالمقاييس النقدية المتعارف عليها أم من خلال القيم الدينية والأخلاقية؟

وأجاب شيخ الدعاة:

– هناك فرق بين الجمال لذاته، والجمال لغاياته، من ناحية التصوير الجمالى لا أنظر إليها من خلال القيم الدينية، بدليل أن الشاعر أو الأديب عندما يحسن شيئًا – وقد يكون كفرًا – ولكن كصنعة أدبية تقيم من خلال المقاييس النقدية لا الدينية.

فمثلاً الشاعر المهجرى الذى قال:

مولاى أنى قد عصيتك عامدًا ... لأراك أجمل ما تكون غفورًا
ولقد دنيت من الذنوب كبارها ... ضنًا بعفوك أن يكون صغيرًا

إذن هناك ما يسمى الجمال فى ذاته، ولكن الجمال بما يؤدى إليه فهذا موضوع آخر..

ولذلك فالشعر كفن انطلاقى أخيلة، والتعبير عن تلك الأخيلة عندما يدخل فى الخير يضعف بعض الشيء، ويقوى فى الشر.

- لماذا؟

لأنه ليس فيه خنق للمعانى، وما دام ليس هناك خنق للمعانى، فهى تنطلق.

وحسان بن ثابت عندما أسلم قالوا له:
- لقد لان شعرك يا أبا الحسام؟

فرد قائلاً:
- الشعر نكد يقوى فى الشر، فإذا دخل فى الخير ضعف ولان.

وطبعًا هذا لا ينطبق على من يملك العبقرية المركبة فيأتى معنى يروق من خلال الخير، معنى تنبهر به، مثل القائل:

حسب نفسى عزا
بأنى عبد
يحتفى بى بلا مواعيد رب
هو فى قدسه الأعز ولكن
أنا ألقى متى وأين أحب

وقديمًا قالوا: من لم يزلزله الجمال فناقص تكوينه، لأن التكوين الأساسى هو فى الإحساس بالجمال، فلماذا يصبح الجمال سيئًا فى المرأة؟

ومن هنا يمكن الإحساس بالجمال فى هذا القول:

من لم يزلزله الجمال فناقص تكوينه

ويسوى خلق الله من يهوى
ويأذن دينه
فقد رقى معنى الشر فى الخير
إذن فالنقد يجب ألا يوصلنى إلى القبح

الأدب الصوفى

* قلت للشيخ الشعراوى: أرقى أنواع الأدب هو الأدب الصوفى.. وأروع ما عبر به الإنسان عن خلجات نفسه فى تطلعاتها وأشواقها هو الشعر الصوفى.. ومع ذلك فهذا النوع من الأدب لم يلق العناية، لا من الدارسين، ولا من النقاد.. لماذا؟.

* وأجاب الشيخ الشعراوى:
- لأنه عندما تأتى الأحاسيس الأدبية، وتتملك النفس هواية الأدب تؤثر الانطلاقات الخيالية فى الأجواء الإبداعية.

والتصوف ناشىء كله فى عبودية مطلقة، والذى يستطيع أن يعبر عن ذلك ويجد المتذوق لهذا اللون من الشعر، يرى فيه رقيًّا رفيعًا، ولكن الذى يريد أن يعبر عن المعانى الأخرى البعيدة عن الروحية، فهو بعيد عن التقيد، أى أنه ينطلق حرًّا فى التعبير عن الذات.

والحديث مع الشيخ الشعراوى يجذبك بشدة إلى الفكر الإسلامى، وثراء هذا الفكر، وقدرته على صياغة الإنسان، وصياغة الحياة على أسس واعية مستنيرة، ومن هنا فقد كان من الضرورى أن نعرج على قضايا

الفكر الإسلامى.. ووضع النقط على الحروف حول العديد من القضايا الحيوية التى تشغل الأذهان.

الحرية فى الإسلام

* قلت للشيخ الشعراوى:

– الحرية كلمة فضفاضة، ولها تفسيرات مختلفة فى الديمقراطيات المعاصرة، ترى ما هو مفهوم الحرية فى الإسلام؟

* وأجاب شيخ الدعاة:

– مفهوم، الحرية فى الإسلام أوسع مفهوم فى العالم، لأن معنى الحرية ألا تكون عليك رقابة فيما تفعل. وحتى لا تكون عليك رقابة فيما تفعل أعط هذا الحق لسواك، لنهب أنك حر فيما تفعله، فمن حق غيرك وهم ملايين الملايين، أن يكون لهم الحق فى الحرية فيما يفعلون.

إذن حريتى هذه حرية حمقاء لأنها تبيح لى وأنا فرد أن أعربد، وتتيح للآخرين أن يعربدوا فمثل هذه الحرية حرية كاذبة.

المفروض أن أكون أنا حرًّا فيما يحدده الأعلى منى، وهذه لا تكون إلا من الله.

فإذا أصبحت عبدًا لواحد أصبحت حرًّا عند الجميع وهذه هى الحرية.

الإسلام عندما جاء ليضبط حركتى لم يضبط حركتى وحدى، ولكنه ضبط حركتى وضبط حركة الآخرين بالنسبة لى.

ولكن الحرية لا تعنى أن تمر يدك لتلمس وجوه الآخرين ولكنها تعنى حمايتى من حرية الآخرين أيضا.

فالإسلام أعطانى الحرية ليكف عنى حرية الآخرين.

المساواة فى الإسلام

* قلت للشيخ الشعراوى:

- مادمنا نتحدث عن القيم الإنسانية التى صانها الإسلام فلا شك أن من أهم القيم الإنسانية هى المساواة، والمساواة التى أقرها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا تشدقت بها الثورة الفرنسية، فما هى الفروق بين المساواة كما شرعها الإسلام وكما شرعتها الأنظمة الواقعية؟

* وقال العالم الإسلامى شيخ الدعاة:

- المساواة فى الدين مساواة موضوعية، ولا أحد يتحكم فى تقنينها، ولكن المساواة فى أعرافنا يتشدق بها، ولكن ربما لا تنطبق عند من نادى بها كهدف.

حكاية مع السادات

ويصمت الإمام قليلاً ويتذكر شيئًا ذا بال ويبتسم وهو يضرب مثلاً من واقع الحياة فيقول:

وأذكر هذه الحكاية الطريفة، كنا فى الإسكندرية وكان معى المرحوم

سيد جلال، وأحمد بشرى، وقد استدعى سيد جلال إلى القاهرة لأن الرئيس السادات يريد أن يزوره فى بيته ليعزيه فى ولده، ونزلنا جميعًا إلى القاهرة، واستأذن سيد جلال لمقابلة الرئيس السادات فى الساعة الثانية فى منزله، وقلت له أن يأتى إلى منزلى بعد مقابلة السادات.

وسألته: ماذا دار بينك وبين الرئيس السادات؟

وقال الشيخ الشعراوى: ذكر سيد جلال أنه تحدث فى بعض الأمور السياسية وكان هناك فى هذا الوقت شائعات حول تغيير وزارة المرحوم ممدوح سالم، وهذه الشائعة كانت معروفة قبل تغيير الوزارة بحوالى شهرين، وقال سيد جلال بصراحته المعهودة للرئيس السادات - ألا يظلم ممدوح سالم.

ورد عليه الرئيس السادات قائلا:
- يا عم سيد، الناس بتحب التغيير.

وقال الشيخ الشعراوى لسيد جلال:
- كان يجب أن ترد عليه ردًّا واحدًا، نعم يا سيادة الرئيس الناس بتحب التغيير إلا فى رؤساء الجمهوريات، (وضحك الشيخ طويلًا) وهو يستعيد هذه الذكريات.

الاعتدال والإفراط

* قلت للشيخ الشعراوى:

– فى الفلسفة اليونانية، الفضيلة وسط بين إفراط وتفريط كلاهما رذيلة وهذه المقولة تعنى ضرورة الوسطية، فالشجاعة مثلاً وسط بين التهور والجبن، ولكن هذه الوسطية تتنافى مع القيم الإسلامية فى كثير من الأمور، لأن هناك أشياء لا وسطية فيها، فالأمانة هى الأمانة، والشرف هو الشرف، ولا وسط فى مثل هذه الأمور، فما هو الاعتدال فى الإسلام؟

* وأجاب شيخ الدعاة:

– الإسلام يقول: إن الله خلق الإنسان خليفة لعمارة الأرض، ولكن ليست هذه الغاية، الغاية هى الحياة الأخرى بعد تعمير الحياة بالاستقامة، الحياة الثانية تختلف عن الحياة الدنيا، نحن نعيش فى حياتنا الدنيا فى كبد، نحن نعيش بالأسباب ولكن فى الآخرة نعيش بالخاطر، ولذلك فقد سبق أن قلت: إن الدنيا أهم أن تنسى، ولكنها أتفه من أن تكون غاية.

* لماذا؟

– لأننى أرى من يخدمنى فى الكون بما فيها الأعلى الذى لا أتناوله وهو الشمس، بالله أيكون الخادم لى أطول عمرًا منى.

إن الجماد والنبات وما حولى من كائنات، تقوم بخدمتى إذن لابد أن تعرف أن الحياة لها امتداد وأن الحياة لها هدف أسمى لحياة أخرى، فأنا أتعب فى الدنيا لأتنعم بدون تعب، وكذلك الحياة الأخرى، تعب فى الدنيا بما يرضى الله ابتغاء للنعيم الدائم.

الملكية وحقوق الآخرين

* إذن الذى خلقنى فى الدنيا كوسيلة للآخرة فلابد أن يكـون فى تركيبى ما يشمل ضرورة العمل للدنيا والآخرة بإتقـان، لأنك عنـدما تتقن، فسوف يتقن الآخرون، وأنت لا تملك من زوايا حياتك إلا زاوية واحدة، وربما الزاوية التى تملكها تكون أنت أسوأ الناس حظًا فيها.

إحسان غيرك فى شىء سوف يعود إليك بالخير، إذن فالكون خلق على هذه القاعدة، يعطينى شيئًا لكى أشقى وأتعب، وشيئًا يعطينى الأمل فإن الشقاء والتعب يعقبها الراحة والنعيم.

ولكن لا يمكن أن ترتقى الدنيا مهما تـطورت فيها أسبـاب الرقى لدرجة أن تحصل على ما تريد، بمجرد الخاطر كما يحدث فى الآخرة.

إذن الاعتدال هو ألا نأخذ الدنيا عـلى أنها الغايـة، ولا أقول إنها مادامت ليست غاية فنهملها، لأنها هى الـوسيلة إلى الآخرة فى القمـة الإيمانية، هناك من يقول إنه ليس إله، ولكن الإسلام يقول: إن هناك إلـهاً واحدًا، وليس آلهة متعددة، وإلا لمـا سارت حـركة الكـون بهذا الإتقان المحكم.

الإسـلام يقول لـك (املك)، ولكن عنـدمـا تملك لا تنسى حقـوق الآخرين، لأنه لو أصابك الفقر فسوف تجد من يمد لك يد العون، لأنك عندما تجد فقيرًا معانًا من الأغنياء، فإنك لا تخشى الفقر، عندما ترى أولادًا يتامى، وتجد العاطف وتعاطف الآخرين معهم لا تخشى إن أصبح

أولادك يتامى، فالتوازن فى النفس الإنسانية ضرورة. وهذا التوازن مهم لأن تركيبة الإنسان فيها أمورٌ اختيارية أمامه، وهناك أمور ليس له فيها اختيار..

فهو مقهور فى أشياء.

وهو مخير فى أشياء.

إذن عندما نشرع له، نقول له: إن هناك نصًّا لا تحيد عنه، وهناك نصًّا يمكن أن تجتهد فيه، إذن لابد أن تكون مؤمنًا بالاختيار، وهنا يبرز تساؤل هل ظواهر الكون مخيرة؟ والإجابة: إنها اختارت أولًا أن تكون كذلك:

– ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾

[الآية: ٧٢ من سورة الأحزاب]

فالعرض اختيار، فالسماء والأرض لم تحرما الاختيار، ولكن جمعت الاختيار فى شيء واحد.

وحدانية الله

* قلت للشيخ الشعراوى:

– لفضيلتكم رأى فى أن معنى ﴿قل هو الله أحد﴾ الأحد هنا ليست بمعنى الواحد. كيف؟

* وأجاب شيخ الدعاة:

– هناك فى اللغة ما يسمى: كل وهناك ما يسمى كلى، وجزء وجزئى.

الكل يطلق على أشياء كثيرة، ولكن هذه الأشياء الكثيرة ليست لها

حقائق واحدة، ولكن تكوينها يؤدى إلى الكل، فالكلى له أجزاء. مجموعها يكون الكل، الكل يطلق على كثيرين ولكن متفقه فى الحقائق.

- مثلاً؟

- كلمة إنسان، (كلى) أفرادها فلان وفلان، كل واحد منا يصح أن يكون موضوعًا، يمكن أن نقول على إنسان، محمد إنسان، ولكن لا نستطيع أن نقول (الخشب كرسى).

إذن هناك كل وكلى وجزء وجزئى.

الكل يقال على كثيرين كالكلى تمامًا، ولكن الكل يقال على كثيرين حقائقهم مختلفة، والواحد منها لا يصح أن يطلق على الكل، لكن الكلى يطلق على كثيرين متفقين فى الحقائق بينما أجزاء الكل مختلفون فى الحقائق.

وعندما نذكر الله، ماذا نعتبره؟

- كل أو كلى؟

- لا هو كلى ولا كل.

- لماذا؟

- لأن معنى كلى أن له أجزاء عندما تتجمع تصبح إلـها، وإن كان واحدًا، إذن الواحدية ليس لها علاقة بالتركيب، قد يكون واحدًا إلا أنه مركب من أشياء، فواحد ليس هناك فرد مثله، وأحد هو فرد واحد لا أجزاء له، وهذا معنى ﴿قل هو الله أحد﴾، فواحد إذن غير أحد وأحد ليس هناك فرد مثله أحد ليسَ له أجزاء.

* قلت له:

- هل الصمد معناها السيد؟

قال: من معانيها السيد أصل الصمد المقصود فى كل شىء وما دام مقصودًا يكون سيد الموقف.

وواضح من هذه الإجابة فى التمييز بين أحد بمعنى أنه لا يتكون من أجزاء وواحد بمعنى أنه لا يوجد فرد مثله بعد استنتاج منطقى فلسفى عميق.. مدى عمق منهج شيخ الدعاة فى استلهام المعانى.

إيمـان العـوام

* قلت للشيخ الشعراوى:

- الإمام الغزالى مجدد القرن الخامس الهجرى، وحجة الإسلام بعد أن بحث فى المذاهب الفلسفية المختلفة، وخاض بحور علم الكلام، وتعمق فى الصوفية، بعد رحلة شك مضنية هذا الإمام العظيم عندما اطمأن قلبه، واتسعت مجالات فكره. كان يدعو ربه قائلا:

- «اللهم ارزقنى إيمان العوام».

* أليس هذا الدعاء العظيم للإمام الغزالى يعنى أن الإيمان فطرة؟

* وقال شيخ الدعاة بأسلوبه البسيط والمستنير:

- نحن نسمع إيمان العوام، لأن الإيمان استبقى الفطرة فى ذاته، لم يعقدها بالفلسفة، أبسط الأشياء التى شغلت المتكلمين، حول الصانع، وحدة الصانع والتفنن والغايو والإبداع، ولكن الفطرة تقول إن البعرة تدل على البعير، والقدم تدل على أن هناك إنسانا قد سار، أليس الكون

يدل على خالق الكون والقرآن يقول:
- ﴿ألا يعلم من خلق﴾.

[الآية: ١٤ من سورة الملك]

فالذى يصنع الأشياء يعرف أجزاءها، فما بالك بخالق الوجود؟ فهذا كلام فطرى فلكى تعرف الفطرة فهى الرضا وهى السعادة.

ويضحك الشيخ الشعراوى وهو يحكى حكاية الباحث الذى استوقفته حياة صياد، فسأل الباحث الصياد عن حياته وكيف يعيش، وقال له الصياد إنه يعيش على صيد السمك، وأن ما يكسبه من هذه المهنة يتعيش بها فلما سأله الباحث عما يدخره؟

تعجب الصياد وقال: إنه لا يدخر شيئًا..

عاد الباحث يقول له: كـان أولى بك أن تنفق شيئًـا مما تكتسب، وتدخر شيئًا للزمن.

وسأله الصياد: ماذا تقصد من وراء ذلك؟

أجاب الباحث: لأنك عندما تدخر سوف يتزايد دخلك، فبدلاً من الصيد بالشبكة سوف تستطيع أن تصيد بالقارب، وسوف يتحول القارب إلى قوارب، ثم يزداد دخلك، فتمتلك أسطولاً لصيد الأسماك.

وضحك الصياد، وتساءل وبعد ذلك.

رد الباحث: تعيش سعيدًا.

ورد الصياد: وما يدريك أننى لا أعيش سعيدًا الآن!

والشيخ الشعراوى يقصد أن الإيمان بالفطرة نعمة من نعم الله، دون التردى فى متاهات الفلسفة وغياهب الفكر، حتى إن الإمام الغزالى بعد

رحلته الفكرية الطويلة دعا ربه أن يرزقه إيمان العوام، إذن فالفطرة الموجودة فى الناس تهدى إلى الله.

والإمام الغزالى قال فيما قال:

– «إنى طوفت فى البلاد و.. و.. وأنا أموت على عقيدة عجائز أهل نيسابور.

* ويقول الشيخ الشعراوى:

– فخلاصة ما وصل إليه أنه آمن بوجود الله وقدرته بعد رحلة فكرية طويلة، ولكن ماذا يحدث لو أنه مات قبل أن يصل إلى اليقين!

إن العوام استخدموا عقلهم عندما آمنوا بالله، ثم تركوا هذه المسألة بعد أن اطمأنت قلوبهم إلى أمور الحياة والنظر فى كتاب الكون، واستخراج القوانين التى تحكم الحياة، والبحث فى مطلوب الله، ولكن الأشياء التى فيها أهواء ارتاح منها، وحكم علم الأهواء حتى لا يكون هواك وهواى، لأن لكل إنسان هوى، ونستعمل ما اتفقنا فيه فى فرض ما اختلفنا عليه، ولكن فى العلوم التجريبية ليس فيها أهواء، فالإنجازات العلمية تكون فى خدمة الناس جميعًا.

حقوق المرأة فى الإسلام

* وكان ثمة سؤال حول وضع المرأة فى الإسلام، والحقوق التى أعطاها لها، ولم تحظ بها فى ظل القوانين الوضعية.

* وقال فضيلة الشيخ الشعراوى:

– أولا القوانين الوضعية تأخرت حتى يوجد واضع القوانين، والذى وضع هذه القوانين عاش فترة بلا قوانين فكيف كان يحكم؟، إلى أن يكون له القدرة على وضع هذه القوانين، إلا أن خالق الإنسان قد أعد له القوانين التى بها صيانته.

ولكن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو كيف تكرم المرأة؟

والإجابة هو ألا نكلفها ما ليس فى مجالها، ولا طاقتها، والمرأة التى تريد أن تنال نفس حقوق الرجل، يمكن أن نقول لها اجعلى الرجل يأخذ مثل ما تطالبين به. فهل يمكن للرجل أن يحمل ويضع ويرضع.

فإذا نظرنا إلى متع الحياة، فالله قد حرم أشياء على الرجل، وحللها للمرأة كالحرير والذهب، وكما قلنا خلاصة ما يريده الإنسان أن يتعب ويكد حتى يصبح مخدومًا من الغير، والمرأة فى منزلتها مخدومة لأن لها مهمة لا تحتاج إلى كدح.

فإن مهمة الأم هى الاهتمام بالطفل، وطفولة الإنسان، هى أطول طفولة تمتد إلى أربعة عشر عامًا، ومهد الطفولة هو المرأة، إذن فمهمة الرجل مع كائنات الله من نبات وحيوان، وانتهت مهمتك مع سيد هذه الكائنات فهل هناك أفضل من ذلك.

وعندما أراد الله أن ينصح آدم قال:

– ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾

[الآية: ١١٧ من سورة طه]

فخروج حواء من الجنة يؤدى إلى شقاء آدم، فالمرأة عندما تنظر إلى واقع الحياة، نجد أن المرأة التى تتشدق بالحضارة الغربية لم يلغ ذاتيتها

سوى هذه الحضارة، فهى تلغى ذاتيتها فى أبيها، ولم يعد لها ملكية مع أبيها أو زوجها.

الطلاق وتعدد الزوجات

* والذى يتعب المرأة هو الطلاق، والطلاق مظهر فرقة، لنر زوجة لا تستطيع الحياة مع زوجها أو زوجًا استحالت حياته مع زوجته هل نرغمه على حياة لا يرضى عنها، ولا ترضى هى عنها، هل هذه حياة؟

ومع ذلك فى الغرب لجئوا إلى الطلاق عندما وجدوا هناك قضية اجتماعية لا تحل إلا بهذا، ولكن لم يلجئوا إلى ذلك إلا بعد شقائهم بالتجربة، بينما الإسلام أعطانا هذا الحق دون أن نشقى بالتجربة.

ويقولون: إن هناك تعددًا فى الزوجات.

ونقول لهم: إنكم لم تتعاملوا مع قوانين النسبية التى تحكم العالم

فالتعدد إذا كان جناية على امرأة فهو إسعاد لأخرى، والشىء إذا اختصر مقابله بسطا ومقاما فلا يحتج به، فإنه إذا أشقى واحدة، فإنه يسعد أخرى وإذا تعدد بثلاثة فإنه يكون قد أشقى واحدة وأسعد ثلاثة.

ثم من الذى قال: إن ذلك إلزام، المباحات ليس فيها إلزام، ولكن إذا ما رأت امرأة أن خيرًا لها أن تكون زوجة ثانية، ما فضول المجتمع فى ذلك!

الأشياء التى يحتجون بها احتجاجات مردودة ولكن من يرددها ومن يقنع بها.

وأذكر أننى كنت فى سان فرانسيسكو، وسألنى أحدهم لماذا أبحتم للرجل أن يعدد، وللمرأة ألا تعدد؟.

وقلت للمترجم أن يسأل هذا المستشرق هل عندكم أماكن تريحون فيها الشبان من غرائزهم (دور البغاء).

قال: طبعًا فيه هذه الأماكن.

قلت: فماذا أعددتم لصحة المترددين؟

قال: هناك كشف دورى.

قلت: وهذا الكشف كيف يتم؟

قال: كل أسبوع.

قلت: وهل إذا أخذت العلاج بعد أن تكون قد أخذت الميكروب ما مصير ضحاياها؟

قال: هناك تفتيش مفاجىء.

قلت: لماذا؟

قال: لنمنع الأمراض.

قلت: وهل فعلتم ذلك مع كل متزوجة؟

تلعثم قائلًا: إنهم لم يفكروا فى ذلك.

قلت: أنا أجيب عنك، لأنه لم ينشأ من الماء الواحد فى المكان الواحد مرض..

إنما ينشأ المرض فى الماءات المتعددة فى المكان الواحد، فلو أننا أبحنا التعدد للمرأة، عليك أن تفكر فى الاحتياطيات اللازمة لما ينجم عن ذلك.

والحديث مع الإمام الجليل يطول، وفيض عطائه العلمى غزير،

وشعرت أنى قد أخذت من وقته أكثر من ثلاث ساعات.

وكان الرجل جالسًا فى صالة الاستقبال، بأحد فنادق الإسكندرية، ولا يقطع إجاباته سوى مداعباته للأطفال الذين لم يكادوا يرونه حتى يقبلوا عليه بشغف عجيب.

دعـاء

وأشعر أنى أثقلت عليه كثيرًا، فأطوى أوراقى، وأتذكر الدعاء الأثير عنده:

– «اللهم إنك ربى وأنا عبدك، وقد ابتليتنى بالتكليف، والابتلاء فيه نجاح ورسوب، فما نجحت فيه فأقبله منى، وما رسبت فيه فوجهنى إلى سواه.

اللهم إن كنت قد أخطأت خطأ يقدح فى عقيدتى فأستغفرك وأتوب إليك، وإن كنت قد أخطأت خطأ فى تكليفى فأسألك أن تتوب على، إنك أنت التواب الرحيم».

٤

السيرة العطرة للرسول الكريم ﷺ

* فى شعاب مكة، أشرق النور على البشرية بعد ظلام عصور طويلة، ولد نبى الهدى وخاتم المرسلين وخير الخلق أجمعين، النبى ﷺ هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ورحمةً للعالمين.

وبشرت بقدومه الكتب المقدسة، وإن حاول البعض طمسها، وعاش حياته قبل بعثته، كما عرفته قريش، صادقًا أمينًا، وبعد بعثته قاد أتباعه نحو الحق والنور والإيمان، فانفتحت أبواب العالم أمام رسالته، وسقطت ممالك الظلم والقهر.

وفى «حديث الروح» مع الداعية الإسلامى الشيخ محمد متولى الشعراوى، نستروح هذه النسمات العطرة مع السيرة الذكية للرسول الكريم، وبشارته فى الإنجيل والتوراة، وحكاية شق صدره فى طفولته على يد الروح الأمين «جبريل»، ويرد على المستشرقين ذوى الغرض فى قضية

تعدد الزوجات، والمعانى الروحية فى معجزة الإسراء والمعراج، وأسس الاقتصاد الإسلامى وموقعه من الأنظمة المعاصرة، وما آل إليه حال العالم الإسلامى من تمزقات وخصومات!.

وامتد «حديث الروح» ساعات وساعات مع الشيخ الشعراوى وهو يخوض فى بحار النور القرآنى ونسمات السيرة العطرة للنبى الأمى الذى كان خلقه القرآن، والذى قال فيه المولى عز وجل ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

كان ميلاد الرسول الكريم بداية لتغيير خريطة العالم والتحول إلى حياة جديدة، دستورها العدل والرحمة والسلام، والإخاء، وسيادة شريعة الله، ونبذ شرائع الغاب والتجبر والاستبداد، والاتجاه نحو مجتمع جديد يظلله التكافل والارتقاء بإنسانية الإنسان.

وحول صاحب الرسالة العظيم، وأعظم من سارت له على الأرض خطى، كان حديث الروح مع فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

* فضيلة الإمام: ما دلالات البشارات التى سبقت مولده ﷺ فى التوراة والإنجيل؟.

ويبدأ الشيخ الشعراوى حديث الروح قائلاً: النص فى التوراة والنص فى الإنجيل جرى تغييره كثيرًا، ولكن الله سبحانه وتعالى ترك للحق منفذًا فجاءت بعض الإشارات فى التوراة، وبعض إشارات فى الإنجيل تدل على ما أرادوا أن يخفوه.

ومنهم من أرادوا أن يطمسوا الإشارات الحقيقية - الإسم الظاهر - ولكنهم سهوا عن كثير من النصوص مما يدل على أن الحق أغفلهم عنها

حتى تبقى شهادة بأنه الله إذن:

ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد، والذى ينظر إلى حقيقة اسم الإنجيل يرى أن كلمة الإنجيل فى اليونانية تعنى البشرى أو البشارة، فكأن كلمة الإنجيل نفسها تدل على أن عيسى عليه السلام جاء بشيرًا..

وبعد ذلك نجد فى بعض النصوص الإنجيلية:

- وسيأتيكم البار قليط الذى يجعل الله كلامه فى فمه.

أى أن معجزته كلامية:

وهناك فى التوراة: أن الرب جاء من سينـاء، ونهض من سعيرهم، وسطع من جبل فاران.

الذى يدل على هذا أيضًا فى القرآن عادته عندما يذكره ﷺ يذكره بـ يا أيها النبى أو يا أيها الرسول، وكل نداء للرسل لم يأت. بيا أيها النبى، ولا بيا أيها الرسول ولكن جاء.

* يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة.
* يا نوح اهبط بسلام.
* يا موسى إننى أنا الله. إلى آخره.

فكأننا نلحظ من ذلك كل الأنبياء كانوا مقدمة لموكبه ﷺ، وإنه إذا أطلق نبى أو أطلق رسول فهو يعنى محمدًا ﷺ لأنه جـاء بالشـريعة الصالحة لكل زمان ومكان.

وكان سبحانه وتعالى يتحدث عنه باسم محمد إلا فى سورة واحدة تكلم فيها لا باسم محمد، ولكن باسم أحمد.

ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد.

وعندما جاء فى بشارة عيسى: سيأتى من بعدى إيلياء وهذا لم يحدث ولكن، وجدوا أن عدد الحروف بعدد حروف أحمد، فالرسول ﷺ جاء على موعد مع التقاء الدنيا، فكان لابد أن يتحد الدواء، ومن هنا كانت رسالته ﷺ.

حكاية شق الصدر

*** ما هى حكاية شق صدر الرسول فى طفولته على يد جبريل، وأوجه الاختلاف حول هذه المعجزة؟.**

وقال الشيخ الشعراوى:

ولماذا لم يتعدد الشق فى كل حادثة تعرض لها النبى ﷺ، ثم ما هو الشق؟

فالإنسان ولد وعنده ملكات، فشاء الله أن يمنع عنه من الملكات التى تعوق مسيرة الدعوة، فلماذا لم يعده الله بكل ما مر به من أحداث، كما فى الإسراء مثلًا، ثم إن المسألة ليس فيها وقفة.. لأنها ليست من ضرورات الدين، لأن هناك معجزته الخالدة، وهى القرآن الكريم.

*** البعض فسر الأمى بأنه الذى لا يقرأ ولا يكتب، والبعض الآخر فسر الأمى على أنه النبى الذى جاء من أمة أخرى غير بنى إسرائيل، فما رأيك؟.**

أجاب فضيلة الشيخ الشعراوى:

هذا صحيح، وهذا صحيح، لأن اليهود يعتبرون أن كل من ليس يهوديا من الأميين، أى من الأمم الأخرى، فليس معنى الأميين، ليس معناه أنهم الذين لا يقرأون ولا يكتبون، ولكن كلمة الأمى منسوبة إلى الأم كما ولدتهم أمهاتهم.

- ﴿أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا﴾.

فكل من لا علم له من ثقافات الحياة يعتبر أميا وإن قرأ وإن كتب.

أوصاف النبى

* لو قربنا صورة الرسول ﷺ إلى القارىء اليوم، ماذا نقول، كيف نقرب صورته إلى الأذهان بالكلمة وليست بالصورة الفوتغرافية التى لم تكن معروفة؟.

وقال الشيخ الشعراوى:

الفحو العام، أنه كان من ناحية الطول والقصر كان ربعة (لا طويل ولا قصير).

ومن ناحية اللون أبيض مشرب بحمرة، عيناه فيها شكلة، عريض المنكبين، ضخم الكراديس، الشعر سبط، أشكل (يعنى بعينه حمرة) إذا مشى كأنما يتحدر من صبب، نظره دائمًا إلى الحائط، إذا التفت التفت جميعا، إذا وضع صحابى يده فى يده تظل يده فى يد الصحابى إلى أن يترك الصحابى يده.

إذا دخل البيت كان فى مهنة أهله.

هذه خلقيات.

ولكن عندما نتكلم عن خلقه فقد قال فيه الله جل علاه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

ما هو الخلق: هو اكتمال الملكات فى حلالها ومباحاتها.

الرد على المستشرقين

* عاب المستشرقون فيما عابوه على الإسلام تعدد الزوجات.. فهل التعدد مما يعيب الإسلام؟

وأجاب الشيخ الشعراوى:

– تعدد الزوجات، لنقف أمام هـذه المشكلة من الوجهـة الفلسفية، لا يتعدد إلا بفائض، فإذا لم يكن هناك فائض، فإن منـع تعدد يـوجد الفائض.

فإذا كان عدد النساء أكثر من الرجال فماذا يفعل الفائض إما يعف، وإما ينحرف؟

فالتعدد هل إلزام أم إباحة؟ الذى لم يعجبه لا يفعله، حتى الـزواج ليس فيه إلزام.

إذن فالمنطق والفلسفة يستدعيان أن نجد حلاً للفائض.اهل نعبث فى الكون؟

فألحق بعض الزائد بإباحة التعدد، فالتعدد يمتص الزائد، وهنا يبرز تساؤل، هل وصل الأمر إلى حد الوباء؟

كم عدد الذين يعددون، إنها نسبة ضئيلة جدًا، ثم يجب على المنصف حين يعترض على شيء أن يتساءل لماذا قبل الطرف ذلك..؟

فالمرأة التى قبلت برضاها أن تكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة، معنى ذلك أنها قاست ووجدت فى إقدامهاا على الزواج من رجل متزوج خير أحوالها، ثم لا تأخذ رأى المتزوجة فى التعدد بل يجب أن تأخذ رأى التى لم تتزوج بعد.

أنا لا أنكر أن الذين حملوا على التعدد إما أن يكونوا من غير المسلمين، أو من المسلمين.

فمن كانوا من غير المسلمين فهذا تشنيع على الإسلام وإحفاظ النساء على الإسلام، ونحن نرد عليهم بالقول، بأنكم بالرغم من أنكم تقولون بعدم التعدد أبحتم الخليلة، فأيها أفضل الحليلة أم الخليلة!!

وإذا كنتم تعيبون على الإسلام بإباحة الطلاق فقد أبحتم أنتم أيضا الطلاق.

إذن كل المسائل يمكن أن ترد عليها، فإذا كان التعدد له عيوب، فليس من ناحية الحكم ولكن من ناحية تطبيق الحكم، لأن الذى يعدد يأخذ إباحة الله فى التعدد ولا يأخذ جزميته فى العدل، لو أخذ الإباحة مقابل العدل، فإن الأمور تمشى بصورة عادية.

زواج النبى

* نرى أيضًا أن المستشرقين يركزون على قصة زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش ويصور خيالهم المريض قصصًا أغرب من الخيال حول هذا الزواج، بقصد الغمز على رسول الله ﷺ؟

وقال الشيخ الشعراوى:

– من السهل الرد على هؤلاء المستشرقين، فهو الذى زوج زينب إلى زيد، وهى بنت عمته أى أنه سبق أن رآها ولم يفاجأ برؤيتها كما يزعمون فبهره جمالها، وهو الذى طلب من زيد عندما أراد أن يطلقها ألا يفعل ذلك وقال له:

– أمسك عليك زوجك.

وهذا دليل على حرص النبى ﷺ على استمرار زواج زينب ولكنهم أخذوا عليه ما قيل فى النص:

«وتخفى فى نفسك ما الله مبديه».

وهنا نقول، وتخفى فى نفسك، فإذا أردت أن تعرف ما أخفاه رسول الله ﷺ فلنذهب إلى ما أبداه الله. والذى أبداه الله.

«وتخفى فى نفسك ما الله مبديه».

فما هذا الذى أخفاه؟.

– لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم.

فجعل التجربة فيه ﷺ.

فالذين يأخذون ذلك على الله وهو المشرع فهؤلاء ليس عندهم دين، والذين يأخذونها على الرسول وعندهم دين، فنقول لهم أيضا، إنه لم يتزوج، ولكن الله هو الذى أمره بالزواج منها، فإذا أردتم أن تصعدوا المسألة فصعدوها إلى الله.

تطبيق الحدود

* يقول المستشرقون أيضًا إن تطبيق الحدود سيخلق فى المجتمع مجموعة من المشوهين؟

يرد الشيخ الشعراوى:

نحن نرد بالتساؤل، كم سارقًا قطعت يده منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، أو إنسانًا قتل لأنه قتل، قيسوا ذلك بحادثة، أو حادث واحد فى حرب، لا يزال المشوهون فى الحرب أكثر من الذين طبقت عليهم الحدود، فهل هؤلاء المشوهون من صناعة القصاص أم من صناعة الحرب، وهل المعوقون من الحوادث من صناعة الحدود؟

تمزق العالم الإسلامى

* فضيلة الشيخ، الذى يرى خريطة عالمنا الإسلامى المعاصر، يثيره هذا التمزق والحروب والخصومات السائدة فيه، فكيف نقضى على هذا التمزق من خلال منظور إسلامى؟

وأجاب الشيخ الشعراوى:

التمزق ظاهرة شجارية بين طرفين وجهة نظرهما فى الحياة مختلفة.

الدين لا يجعل لك نظرية ولى نظرية وأنت لك هوى، وأنا لى هوى، ولكن الكل يجب أن يلتزم بما جاءت به السماء، فإذا ما تمسكنا بما جاءت به السماء فمن أين يأتى التمزق؟ ولهذا قال تعالى:

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض﴾ فكل ما فيه اختلاف هوى حسمه الشارع بالحكم، حتى يخضع الجميع لحكم السماء، فالأهواء من النظريات حسمها الإسلام، والذى أطلقه الإسلام هو الحرية الكاملة فى النظر إلى ظواهر الكون.

«ولا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

لأنه ما دام الهوى على حسب ما جاء به وحى السماء لا يكون هناك مجال للخلاف.

وفى الريف مثل يقول:

«اللى يقطع الشرع صابعه ما يخرش دم».

مادام الشرع فهو حكم الله.

ولكن الذى تتفق فيه الأهواء، ولا يترتب عليه فساد بم يترتب عليه ارتقاء فهذا فى العلوم التجريدية والمادية.

فالحق حين شرع ما شرع، إن الذى تختلف فيه الأهواء، حتى لا تعاند الأهواء وتتساند فى هدف واحد، فلا تضيع مجهودات البشر.

أما الأمر الثانى فأطلق البحث فيه للمؤمن وللكافر ﴿وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾.

وظواهر العلم التجريبى، جاءت من الملاحظة فى الكون، وارتقاء العلم يأتى من هذه الملاحظات، وتقدم العلم والحياة رهن بهذه الملاحظات والتجارب المعملية، ومن هنا نرى كيف استغل الإنسان قوة البخار، وكيف اكتشف نيوتن قانون الجاذبية بملاحظته لسقوط التفاحة، وتساءل لماذا لم ترتفع إلى أعلى بدل سقوطها على الأرض، وكان اكتشاف قانون الجاذبية.

والنبى ﷺ يقول:

- «حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

فالنبى عصم ما تختلف فيه الأهواء، ولكن ما تتفق فيه فهو يخضع للتجربة، فقانون المادة هو الذى يفرض نفسه بعيدا عن هوى الباحث، وهو القائل ﷺ:

- «أنتم أعلم بأمور دنياكم»، أى بالتجربة التى تلتقى فيها الأهواء.

افتراءات المستشرقين

* قلت له: اتهم بعض المستشرقين أن كلمة السلام كاسم من أسماء الله الحسنى كلمة غامضة؟

وأجاب الشيخ محمد متولى الشعراوى:

ما معنى كلمة السلام كما يفهمونها فى لغتهم؟. إنها ضد الحرب، وكيف تنشأ الحرب، والجواب من اختلاف وجهات النظر، وهنا يتبادر تساؤل، وهل يظل اختلاف وجهة النظر أم تسخر له القوى لتفرض وجهة النظر الأخرى على الآخر، وما دام الأمر كذلك ولا معنى لاختلاف وجهة النظر إلا هوى النفس، فالسلام جاء بمنهجه ليعصمنا من هوى النفس الذى يؤدى إلى الاختلاف.

فحين يسمى الله نفسه بالسلام، كما يسمى نفسه بالعدل، فإذن كل ما شرعه الحق للخلق يؤدى مدلول هذا اللفظ بآثاره على الخلق، حرب الإنسان مع القوى الغيبية، حرب الإنسان مع أخيه الإنسان لاختلاف وجهات النظر، بل حرب الإنسان مع نفسه بأن تتناقض ملكاته، فلا يوجد لفظ يجمع كل هذه المعانى سوى لفظ السلام.

* يقولون أيضا: إن المتكبر وهو اسم من أسماء الله الحسنى يعتبر اسم ذم بالنسبة للإنسان فكيف يسمى به الله نفسه؟.

- المتكبر ذم لأنه تكبر على المساوى، ولكن هذا اللفظ بالنسبة لله ليجمع التكبر فى الخلق، يعنى كل إنسان كبير عن الآخر لابد أن يعرف أن هناك من هو أكبر منه وبالتالى لا يتكبر على أحد!

الاسم الأكبر

ويعرج بنا الحديث إلى اسم الله الأكبر، ما هو؟ هل هو كلمة الله؟.

ويجيب الشيخ الشعراوى:

– قالوا: إن اسم الله الأعظم لماذا؟ لأن كل صفة من صفات الله لها مجال، فالقادر مجاله القدرة على العمل، والحكيم معناه وضع الشىء فى موضعه.

والعليم معناه أنه عالم بكل خوالج النفوس، فكل لفظ له مدلول، ولكن كلمة الله لا مدلول لها إلا أنه المعبود، أى أن من تكون له هذه الصفات يجب ألا يتجه بالعبادة إلا إليه.

إذا كنت تستعين بالله فى شىء.

الذى يريد غنى يقول: باسمك اللهم يا غنى اغننى.

الذى يريد العزة وهو ذليل يقول:

باسمك اللهم يا معز اعزنى.

والذى يريد العلم يقول:

باسمك يا عليم علمنى.

والذى يريد أن ينتصر على عدوه يقول:

باسمك يا قادر انصرنى.

فإذا أردت فعلا، يشترك فيه صفات كثيرة، علم وحكمة وإرادة وقهر.. إلى آخره، تقل باسم الله الجامع لكل هذه الصفات.

فصار أعظم من هذه الناحية.

الصلاة الوسطى

* هل الصلاة الوسطى هى صلاة العصر.. فقد اختلفوا فى تحديد هذه الصلاة؟

- هناك التعميم بعد التخصيص. والتخصيص بعد التعميم.

* ﴿اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنًا﴾. (فالوالدان داخلان فى هـذا المعنى)، وللمؤمنين والمؤمنـات (أيضا الأب والأم داخـلان فى هذا المجال).

إذن فثمة شيء فيه خصوصية ثم يدخل فى التعميم ولا يلغيه..

الحق سبحانه وتعالى يريد منا استـدامة إعـلان الولاء لله، وإدامـة الإعلان لله تعالى يكون فى ملاحظته، وهو يطالبنا بإدامة المحافظة على الصلاة يوصينا بالمحافظة على الصلاة، والصلاة الوسطى، ونتساءل ما هى الصلاة الوسطى؟

وسطى مؤنث أوسط، ولأن الصلاة مؤنثة قال الوسطى، لم يقل الوقت الأوسط، والأوسط يحتاج طرفين.

إن كان تشريعًا فإن أول وقت فـرضت فيه الصـلاة كان الـظهر، وبالتالى يصبح المغرب هى الصلاة الوسطى.

وإن كانت بالنسبة للسرية والجهرية، وسطا بين شيئين يتضح لنا أن الصلاة الوسطى هى المغرب.

وإن كان وسطا فى العدد ففيه ركعتان وفيه أربع، وصلاة المغرب ثلاث (المغرب) الوسطى مثلا بين الأوقات الليلية والنهارية، نراها (المغرب) فإذا حسبناها عددًا أو ظهرًا وسرًّا، نراها شائعة، وهذا يعنى أن نقيم الكل، لأنه خصص، ثم عمم، وهذا يدفعنا إلى الحرص على إقامة الصلوات كلها فى ميقاتها.

* يقول بعض المستشرقين أن كلمة (البارى) ليست عربية ؟.

* الشيخ الشعراوى: اتهام اللغة العربية بعدم مواكبة الحضارة اتهام باطل لأنها لغة القرآن..

– ومن قال إن العربية مفصولة عن العبرية أو غيرها، فهى كلمة ليست مقابلة، لأن المشتق من شىء لا يقال يقابله بل يقال بعضه، ثم لماذا لا ينظر إلى جهله، فهناك ألفاظ أخرى غير عربية، هندية وفارسية دخلت اللغة العربية، ككلمة قسطاس مثلا كلمة رومية.

إذن فمعنى أن يكون اللفظ عربيًّا، أن يكون دائرًا عند العرب وإن كان قد جاء من لغات أخرى.

فمثلا كلمة مدينة لم تكن موجودة فى اللغة العربية أخذناها بعد الحضارات، وجاء الإسلام ولفظ المدينة مفهوم عند العرب بمعناه، كما تقول اليوم كلمة (چاكت) أو (بنك)، ولكنها أصبحت من لغة التخاطب عند العرب.

نحن وحضارة الغرب

* البعض يقول إنه لابد أن نأخذ بالحضارة الغربية وأسلوبها حتى نتقدم؟.

وأجاب الشيخ الشعراوى:

– هناك فرق أن تذهب إلى الحياة العربية، حياة الانتفاع أم حياة الوصول لما ننتفع به، الآفة أننا نفهم الحضارة أن نستمتع بها، أم نستمتع وننتفع بثمارها المادية، الآفة أننا نأخذ الأمور (بشـواشيها)، علينـا أن نتحضر بما يثمر، ولكن التحضر بغيره فهذا تلصص على الحضارات.

* ماذا يمكن أن نقدم للغرب، هل نقدم له القيم الروحية، وهل يقبل الغرب هذه القيم من أمم أقل منهم حضارة؟.

– لقد أعطينا للغرب بواسطة القيم الـروحية القيم المـادية، فنحن الذين علمناهم أصول العلم التجريبى كله فى أية ناحية من نواحى الحياة، وقد أعطينا له ذلك بالإسلام، ومن أملهم أن نحيا حياتهم الغربية بخمودنا الشرقى، حتى نظل عالة عليهم، أن نظل سوقًا لهم، فقد وصلتم بالعلم المادى، الذى سبق أن أخذتموه عن العرب عندما كان هناك الاحتكاك إبان الحروب الصليبية.

انهيار حضارة الغرب

* هناك من يقول بانهيار حضارة الغرب، أو لابد لها من الانهيار، والذين يقولون ذلك فلاسفة من الغرب نفسه من أمثال المؤرخ والفيلسوف الألمانى اشبنجلر مثلاً:

قال الشيخ الشعراوى:

– ولماذا الحضارة الغربية، فإن كون الحضارة الغربية محكومًا عليها بالموت، فهو أمر تنبؤى استقبالى قد يصدق وقد لا يصدق.

يجب أن نقيس ما سيأتى بالحاضر، العالم جاءت به حضارات متلاحقة، الحضارة عندما وصلت إلى درجة القمة لماذا لم تقم لنفسها مناعة حتى لا تهدم، ولكن من طبيعة الحضارات أن تصل إلى القمة ثم تتهاوى، وإلا فإن الحضارة التى جاءت فى أول الأمر كان ينبغى لها أن تستمر.

لم ؟.

لابد أن هناك خللاً ما، هذا الخلل إنها محرومة من القيم التى تسند شراسة الحضارة، وما دام ليس هناك قيم تحصنها من شراسة الحضارة، وتضيع، ولكن الإسلام فيه مناعة، والدليل على ذلك أن الإسلام ضعف سياسيًا فى كثير من العالم، ويرجع الكثير ممن دانوا بالإسلام إلى لغتهم وإلى طبيعتهم.

ولكن بقى الدين: بقى منهج السماء، فالشىء المنسوب إلى السماء هو الباقى.

مثلًا الفراعنة لهم حضارة قديمة لوت أعناق الحضـارة لتعرف مـاذا وصلت إليه هذه الحضارة فى فن البناء (الأهرام) وفن التحنيط، ولذلك لم يضرب الله مثلًا بالحضارات السابقة إلا (بفـرعون)، فيقـول سبحانـه وتعالى: ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ هذا دليل على أنها حضارة عريقة، ومع ذلك بادت هذه الحضارة، فالقوة إذن ليست قوة مادة فقط، لازم أن تكون له روح لأن الذى تسلب روحه محكوم عليه بالموت، وروحه هى القيم، فلو أن هناك قيمًا تسند هذه الحضـارة لاستمرت، وبـلا قيم ولا روح، فالشىء المؤكد أن يكون مصيرها الموت.

* هناك من ينادى بالعودة إلى التراث ولكن بشرط أن نأخذ الصالح منه، والذى يمكن أن يستفيد منه الناس ونترك مالا فائدة منه؟

وقال الشيخ الشعراوى:

– لقد أثبتوا أن فى هذا التراث نافعًا، وكيف أعرف أن فيه نافعًا، لابد أن ندرس كل التراث حتى نعرف النافع وغير النافع، أى لابد أن ندرسه كله، والتراث إن كان موصولًا دائمًا بالسماء فليس فيه ما يهمل كله نافع.

ولكن الذى لا نفع فيه هو الذى من صنع البشر، نظامى ونظامك، هواى وهواك قانون وقانونك.

أى تراث مادام موصولًا وليس معزولًا عن السماء فهو نافع بلا شك، فالصدق، والقيم لا تتغير.

العربية ولغة العلم

* إنهم يعيبون على العربية أنها لغة لا تستوعب لغة العلم، بل قالوا: إن العقلية العربية ليست عقلية إبداع ولا ابتكار؟.

- إنهم لا يفهمون، ويجهلون الكثير عن العربية فاللغة العربية ترجمت الفلسفة اليونانية، وأخذتم أنتم فى الغرب هذه الفلسفة عما ترجمه فلاسفة العرب، لم يكن أحد يعرف أرسطو إلا بفضل العرب، والبصريون لم يعرفوا ذلك إلا عن طريق ابن الهيثم، والأبعاد عن البيرونى، فالحضارة استوعبت النشاط العقلى على مدى ألف عام لا نستطيع أن نتهمها بالقصور أو أنها ليست لغة علم، بل بالعكس هناك اصطلاحات لا يعرفونها.

وحول مناداة البعض بكتابة اللغة العربية باللاتينية حتى نتحرر من صعوبة النحو والصرف؛ يقول الشيخ الشعراوى:

- «لو أن وظيفة اللغة هى التخاطب لكان الأمر معقولا، لأن البربرى يستطيع الحديث مع البربرى، ولكن لغتنا ليست لغة تخاطب فقط، بل إنها لغة تخاطب، ولغة تحمل لنا معانى القرآن الكريم، وهم يريدون أن يبعدوا بيننا وبين لغة القرآن الكريم، إنهم يريدون عزل القرآن عن الحياة.

الذين قالوا أن يكتب باللاتينية، هى محاولة للبعد عن لغة القرآن والفهم عن خالقنا يستدعى ضرورة الحفاظ على العربية، فأنت عندما

تذهب إلى بلد عربي لا يمكن أن تتفاهم مع الناس إلا بالفصحى ولكن إذا تحدثت باللهجات الدارجة صعب التفاهم.

العقلية العربية

* نرجع إلى ما يقوله بعض المستشرقين على أن العقلية العربية غير خلاقة بدليل أن العرب لم يعرفوا المسرح أو القصة؟.

أجاب الشيخ الشعراوى:

- القصة أى قصة، إن كانت القصة بمعناها فهى أن تنقل التاريخ كما هو، فالقص لم يطلق على التخيلات، أما القصة فعندنا أصول القصة أمثال العرب، القصص فى القرآن، وهى قصص حقيقية، ومن العجيب أن تكرر كلمة القصة فى القرآن الكريم ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾.

والقصص فى القرآن هو عبرة فى الواقع، وهناك قصص متكاملة فى القرآن الكريم كقصة يوسف عليه السلام.

تحضير الأرواح

* يبقى سؤال هام، وهو أنهم يدعون تحضير الأرواح، وهناك مئات من الجمعيات الروحية فى الغرب التى تدعى مثل هذا الأدعاء، فهل يمكن تحضير الأرواح؟.

ويقول الشيخ الشعراوى:

«كل علم تجريبى بدأه العقل البشرى كان كـل عصر يـأتى بعده يرتقى، وعلم الأرواح لم يتقدم خطوة واحدة، وهذا متناقض مع تطورات العلم، لأن العلم فى تطور مستمر، العلم معناه أن تأخذ قديمًا يتفاعل فى نفسك لتنشىء جديدًا لم يكن موجودًا.

ولذلك فإن ابن المقفع عندما سئل.

– لماذا أدبك رفيع المستوى أجاب «شربت الخطب ريا، ولم اضبط لها رويا». فغاضت ثم فاضت، فلا هى هى، ولا هى غيره.

إذن العلم الذى لم يتقدم منذ إنشائه، التقدم الذى يقربنا إلى الواقع، فهو علم نظرى، علم تخمينى، والذى يحضر ليست هى الأرواح ولكن خلق خفى عنا، قد يكون جنا أو غير ذلك.

وينتهى هذا الحوار المثمر مع الشيخ محمد متولى الشعراوى، وبقى فى النفس العديد من الأسئلة التى تبحث عن إجابة الشيخ الجليل. ولكن ما الحيلة، وقد أخذت من وقته الثمين الشىء الكثير!

الفهرس

الصفحة

اقرأ فى هذه المجموعة

صوت أبى العلاء	د . طه حسين
أحلام شهر زاد	د . طه حسين
فى بيتى	عباس محمود العقاد
الشيخ الرئيس ابن سينا	عباس محمود العقاد
المهدى والمهدية	أحمد أمين
الصعلكة والفتوة فى الإسلام	أحمد أمين
خاتمة المطاف	على الجارم
أبو نواس	د . عبد الحليم عباس
دماء وطين	يحيى حقى
العشاق الثلاثة	د . زكى مبارك
سيكلوجية الجنس	د . يوسف مراد
النسيان	د . أحمد فؤاد الأهوانى
الحب والكراهية	د . أحمد فؤاد الأهوانى
الوجودية والإسلام	محمد لبيب البوهى
الأمن والسلام فى الإسلام	د . جمال الدين الرمادى
الغزالى	طه عبد الباقى سرور
الإمام المراغى	أنور الجندى
بنت قسطنطين	محمد سعيد العريان

تيمورلنك	محمد محمد فياض
شيخ التكية	محمد عبده عزام
المدينة المسحورة	سيد قطب
نحن أولاد الغجر	أنيس منصور
هؤلاء عرفتهم	عباس خضر
الحب والكلمات	إسماعيل النقيب
رمضـانيات	مصطفى عبد الرحمن
وفى أنفسكم أفلا تبصرون	د. رشاد الطوبى
تنمية عادة القراءة عند الأطفال	يعقوب الشـاروني
أطفالنا فى عيون الشعراء	أحمد سويلم
معى (٢جـ)	د. شوقى ضيف
توفيق الحكيم عملاق الأدب	د. محمد الدالى
حصاة فى بحر هائج	د. سيد حامد النساج
البرامج التربوية للطفل	أميمة جـادو
فمنهم من يمشى على بطنه	د. رشاد الطوبى
القصة فى الستينات	د. عبد الحميد ابراهيم
شوقى ضيف رائد الدراسات الأدبية	د. عبد العزيز الدسوقى
سيناء فى مواجهة الممارسات الإسرائيلية	قدرى يونس
قنـاة السـويس	جورج حليم

رقم الإيداع		١٩٩١ / ٣٦٠٩
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3251 - 3	ISBN

١ / ٩٠ / ٢٣٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)